
سالم فايز

BEST
SELLER

حكايات عن القراءة

الدار المصرية اللبنانية



الأعمال الكاملة

t.me/kotbhm



مكايات عن القراءة

فايز، سامح.

Best Seller : حكايات عن القراءة/ سامح فايز
ط 1 - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2019.

184 ص؛ 20 سم.

تدمك: 7 - 221 - 795 - 977 - 978

1 - الكتب والقراءة.

أ - العنوان. 028

رقم الإيداع: 2019/ 2864

©

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 23910250 + 202

فاكس: 23909618 + 202 - ص. ب 2022

E-mail: info@almasriah.com

www. almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: 2019م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصليل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي
مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويله أو الاقتباس
منه، أو تحويله رقمياً أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحتها عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن

كتابي مسبق من الدار.

★★★★★

سسامح فايز



حكايات عن القراءة

الدار المصرية اللبنانية

إهداء

إلى..

أحمد خالد توفيق - أشرف العشماوي - أحمد مراد

مقدمة

قراءة أي حدث ليست بعيدة عن البيئة المحيطة وتحولاتها. بل معطيات نضعها في الاعتبار. في محاولة تحليل الحدث. مما يسهل عملية الوصول إلى النتيجة المرجوة. تحليل الحدث نفسه قد يفسر مناطق أخرى لها تشابكاتها مع النقطة محل التحليل. ذلك بالضبط ما حاولت القيام به أثناء قراءة تحولات حركة النشر في مصر بعد يناير 2011.

الحديث عن هذه التحولات يجب أن يسير معه على التوازي قراءة لأيديولوجية المرحلة، ودراسة المؤثرات المحيطة من تطور تكنولوجي وفكري.

في البداية كانت دراسة تحولات حركة النشر تسير في طريق دراسة أرقام النشر والتقسيمات النوعية للمطبوعات وتقدم نوعاً فكرياً على الآخر، غير أن تحليل المنتج الفكري نفسه للسنوات الخمس الأخيرة زاد المسألة تعقيداً، وتطلب توسيع دائرة التحليل. لتجاوز مسألة الأرقام إلى محاولة فهم ما الذي حدث؟

بعد يناير 2011 توقفت تقريباً حركة النشر في دور النشر الكبيرة والمعتمدة في السوق المصري، وعلى مدار ثلاث سنوات لم يتجاوز

عدد الكتب المطبوعة عن إحدى أهم دور النشر في مصر إصدارين أو ثلاثة، وتقلص عدد الإصدارات لدار أخرى إلى الثلث تقريباً، فيما توقفت الحركة لدى دور أخرى لعامين متتاليين، لكن على جانب آخر ظهرت على السطح دور نشر خاصة اهتمت بنشر كتابات الشباب، ومع تراجع حجم مشاركة دور النشر المتعارف عليها في مصر تزايد حجم نشر في الدور الناشئة، التي وصلت لـ 50 داراً تقريباً في العام 2015 وتحصرت إصداراتها في نشر كتابات الشباب أولاً، وفي النشر الأدبي ثانياً. وفي نشر نوعية معينة من الروايات مثل أدب الرعب والخيال العلمي ثالثاً. ونمى نجم هؤلاء الكتاب الشباب بشكل لافت بين قراء. وحقق أعمالهم مبيعات لم يشهدها السوق المصري من قبل. إلا في أعمال معينة كانت تمثل طفرات، على العكس مع هؤلاء شباب. حيث تعددت نجومهم وهيمنت مبيعاتهم، لنجد إصداراتهم تنصهر واجهات أشهر سلاسل بيع الكتب في مصر لسنوات.

ومع عودة دور النشر الكبرى للسوق مرة أخرى، مع هدوء الأوضاع نسبياً في مصر. بعد عامين من أحداث يناير، اتجهت هذه الدور للنشر شباب. فظهر نكتب شباب أحمد مراد مع دار الشروق المصرية بعد أن صدرت روايته الأولى فيرتيجو عن دار ميريت في العام 2008 وحقت نجاحاً نسبياً.

لكن وعلى الرغم من حجم المبيعات الضخم الذي حققه الشباب فإن الصحافة الثقافية وحركة النقد في مصر تعاملت معهم بحالة من التجاهل التام. ولم تذكرتهم عرضاً تضعهم في خانة الظاهرة التي

ستنتهي سريعًا، لكن الظاهرة التي ظهرت بوادرها مع ذبوع استخدام الإنترنت في مصر، التي قدر عدد مستخدميها في العام 2000 بمليون مستخدم، لم تنته، وبعد مرور 15 عامًا على هذه الظاهرة أصبح عدد مستخدمي الإنترنت 44 مليونًا حسب تقديرات عام 2014، أي ما يمثل نصف سكان مصر.

اعتماد الشباب في مصر على وسائط السوشيال ميديا والإنترنت ساهم في هذا الانتشار السريع، وزاد من رسوخه، حيث تحولت الظاهرة لواقع لا يمكن تجاوزه.

تحليل حركة النشر بهذا المعنى استلزم قراءة للأيديولوجية التي نشأ عليها هؤلاء الكتاب الشباب، فقراءة سريعة لأعمالهم ومعرفة أعمارهم التي تخبرنا عن جيل ولد في أوائل الثمانينيات توضح أن الإنترنت لم تكن المؤثر الوحيد في هذا التكوين، لكن هناك عنصرا آخر لا يقل أهمية وهو ما اصطلح عليه باسم الصحوة الإسلامية. حيث انتشرت بين كتابات الشباب روايات وأعمال أدبية أطلق عليها أعمال أدبية ذات ضوابط شرعية؛ لا تتجاوز تابوهات الدين والجنس والسياسة، وبدأ الحديث يتردد بين هؤلاء الشباب عن الأدب الأخلاقي والرسالي لتطفو على السطح من جديد نقاشات أدبية خاض فيها الأدباء كثيرًا منذ عشرات السنين، ورغم أن النصرة دائما كانت للأدب بمفهومه الحقيقي حيث الإبداع الذي يكسر كل التابوهات، فإن نوعية الكتابة الأخلاقية أصبح يلوح في الأفق انتصارها على يد

هؤلاء الشباب، وذلك عائد إلى أن هذه الأجيال بالكامل نشأت في عهد الصحوة الإسلامية.

والصحوة الإسلامية - كما ذكر موقع الويكيديا - هي مصطلح يشير إلى إحياء دين الإسلام من جديد. أشهر صحوة في التاريخ الحديث بدأت تقريباً في عام 1970 وتتجلى في التقوى الدينية واعتماد الثقافة الإسلامية كاللباس، والمصطلحات، والفصل بين الجنسين. والتعبير والرقابة على وسائل الإعلام، والالتزام بالقيم والأخلاق من منظور الدين الإسلامي. هناك صحوة ثانية نهاية الثمانينيات. كثيراً ما ترتبط الصحوة مع الحركة الإسلامية السياسية تحديداً دون الكثير من المجالات والتيار الإسلامي وغيرها من أشكال إعادة الأسلمة، في حين تمت صحوة أخرى اعتمدت العنف والتسلح منهجاً لها رافقه بعض التطرف الديني والهجوم على المدنيين والأهداف العسكرية من قبل الإسلاميين.

مما سبق يتضح أن تحليل حركة النشر في السنوات الخمس الأخيرة سيقودنا إلى فهم مناطق أخرى في مفاهيم وأيديولوجيات الشباب وليس فقط إدراك حركة النشر وحجم المبيعات والتغيرات التي سببتها ما اصطلح على تسميته ثورات الربيع العربي، وذلك ما نحاول تفنيده بشكل أكثر وضوحاً في هذه الدراسة.

* * *

تمهيد

1

المعتاد في معرض القاهرة الدولي للكتاب، وفي معارض الكتاب بشكل عام، أن يلفت انتباه رواد المعارض إصدارات دور النشر من الكتب المختلفة، وفي معرض القاهرة ينتبه الرواد إلى سور الأزيكية الذي هو السبيل في نهاية المطاف. أجنحة دار الهلال أو مكتبة مصر بأسعارها المتاحة، في الخلفية توجد مخيمات ثقافية تنظم فيها الهيئة العامة للكتاب فعاليات ثقافية على هامش المعرض، مخيم الإبداع، المقهى الثقافي، القاعات الرئيسية الموجودة في مبنى صندوق التنمية الثقافية التي في الغالب لا يعرفها أحد. مخيم الفنون كان الأوفر حظا على مدار سنوات، حفلات الغناء والرقص الشعبي تجذب أسماع الجميع من باب الترفيه، بعد رحلة مرهقة لمعرض في أبعد مناطق القاهرة، بل والأبعد بالنسبة للقادمين من الأقاليم.

لكن يوم الثلاثاء 3 فبراير 2015 كان الأكثر إثارة للجدل داخل أروقة معرض القاهرة الدولي للكتاب؛ مراقبون تتفاوت أعمارهم بين 16 و25 سنة يتوجهون جماعات إلى المقهى الثقافي، داخل معرض القاهرة الدولي للكتاب، سؤال يوجه إلى الواقفين أمام باب المقهى

في محاولة لمعرفة من المتحدث في تلك الندوة التي ضمت آلاف الشباب، وتأتي الإجابة: أنه "زاب ثروت".

أحمد ثروت، مؤلف موسيقي وشاعر ومغني راب وهيب هوب، مصري ولد في الأردن عام 1987م، يدرس في كلية هندسة خاصة قسم كهرباء، توقف عن الدراسة في السنة الأخيرة ليتفرغ لعمله الفني. صدر له ديوان "الأجندة" و"سلام" وكتاب "7 أيام" و"حبيبي".

الجميع التفت لآلاف الشباب، أغلبهم من الفتيات اللائي أصاب بعضهن الإغماء في سبيل الوصول إلى توقيع من نجم الراب والكتابة الشاب، في حين امتلأت صفحات الفيس بوك بدهشة رجالات الثقافة والأدب لأنهم لا يعرفون زاب ثروت، لكن أحدًا لم ينتبه أن الندوة التي سبقت ندوة زاب كانت لتأبين شيخ التربويين، الراحل حامد عمار.

2

ولد حامد عمار في محافظة أسوان 25 فبراير 1921، وكان أول مصري يحصل على درجة الدكتوراه في اجتماعيات التربية من جامعة لندن عام 1952، نال عمار في 2008 جائزة النيل في العلوم الاجتماعية وهي أكبر جائزة في مصر. ساهم في تأسيس معهد الخدمة الاجتماعية بالأردن في 1970، وأسهم في برامج مكتب صندوق الأمم المتحدة لرعاية الأطفال (يونيسيف) الإقليمي في أبوظبي بين 1972 و 1974، وتأسيس مركز التدريب على العمل الاجتماعي في العاصمة العمانية مسقط، وساهم أيضا في وضع وثيقة إنشاء الصندوق العربي للعمل

الاجتماعي التابع لمجلس وزراء الشؤون الاجتماعية العرب في تونس 1982، وتأسيس المجلس القومي للطفولة والأمومة بمصر 1988، وقسم الدراسات التربوية في معهد الدراسات والبحوث العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 2001. لكن أيًا من المراهقين الذين توافدوا لندوة تأبين الراحل عمار فقط ليجدوا مكانًا لهم قبل ازدحام المقهى لم ينتبه لذلك. لا أحد يعرف عمار، جيل كامل جاء فقط لسماع راب زاب ثروت.

3

توجهت لدار دون بمعرض الكتاب واقتنيت كتابات زاب، وبدأت في تصفح كتاب "حييتي"، فكرة الكتاب تتلخص في حكاية شاب قرر إرسال خطابات إلى حبيباته، أو كل مؤنث في حياته، الأم والأخت والابنة والزوجة والوطن. محاولة لإعطاء المرأة في المجتمع الشرقي وضعها الذي تستحقه، بعد انتشار حالات التحرش وانتهاك جسدها في شوارع القاهرة، ربما كان ذلك استكمالًا لمشروع غنائي بدأه زاب بأغنية "مين السبب"، والتي طرحت مشكلة التحرش وحققت على يوتيوب مليون مشاهدة قبل حفل التوقيع بأيام.

زاب سطر كتابًا موجهًا لفئة عمرية معينة بين 16 و25 ليضعهم على طريق محبة المرأة بعيدًا عن انتهاك جسدها بالتحرش، وكتبت الخطابات بالفعل كأنها جوابات أرسلها أحدهم بلغة عامية وبسيطة جدًا لا تشعر معها أنها خطابات مكتوبة، إنما حالة يستشعرها المراهق

أثناء القراءة، وترك في نهاية كل خطاب صفحات بيضاء ليكتب القارئ هو أيضا خطابا لحبيباته. لكن الإشكالية التي طرحتها أزمة زاب ثروت ليست في ركاكة الكلمات المكتوبة، كما قال المهاجمون، لكن في أن مطربا شاهد أغنيته الأخيرة مليون شخص وله أربع كتب صدرت على مدار ثلاث سنوات ومع ذلك لا يعرفه النقاد ولا محررو الثقافة، بل ولا يعرفه حتى كتاب "البيست سيلر" الذي هو منهم.

4

أنهيت قراءة كتاب حبيتي واستمعت لأغنية زاب ثروت بعنوان "إحنا جيل وانتو جيل" من كلماتها: "الخروج عن المضمون فكرة مش مألوفة.. والمألوف للعقول فكرة كانت موصوفة.. تحجم كل جامح، تربط كل حي.. تمحي من قاموس حياتك إن بكره جاي.. جاي غصب عني لو هتكون معايا.. كذبة واضحة من البداية وعاشة للنهاية.. إنت عكس فعلي.. إنت كل ماضي".

جيل جديد بدأت ملامحه تتشكل خاصة بعد أحداث يناير، لكنها ملامح لا يعرفها أحد غيرهم، بداية بروايات أحمد مراد مؤلف رواية "الفيل الأزرق" التي نافست في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر"، والتي تجاوزت مبيعاتها مليون نسخة، ومبيعات محمد صادق صاحب رواية "هيتا" التي اقتربت من نفس الرقم، ومبيعات زاب ثروت نفسه الذي باع في يوم ندوته في معرض

القاهرة للكتاب 15 ألف نسخة، وقبل ذلك بأيام كان قد صدر الجزء الثالث من رواية "مخطوطة بن إسحاق" لكاتب الرعب حسن الجندي بعنوان "العائد"، وكانت عودة مثيرة حيث حققت الرواية 11 طبعة في أيامها الثلاثة الأولى بمعرض الكتاب.

التفسير المنطقي لهذه الحالة هو تمرد طال الفن كما طال كل جنبات الوطن. لكن تمرد الأدب تصدره شباب لم تتجاوز معارف معظمهم حدود كتب ميكى وأعمال أحمد خالد توفيق ونبيل فاروق.

في العام 2013 تصدر الشباب شباك الأدب بروايات الرعب، وكانت الظاهرة التي احتلت صفحات الجرائد والقنوات الفضائية في النصف الثاني من العام 2014، وكان تفسير النقاد لانتشار هذه النوعية من الكتابة في هروب الشباب إلى واقع متخيل أكثر دموية من واقعهم الحقيقي، حتى يشعروا أن هناك دائما حياة أفضل من التي يعيشونها.

لكن وعلى أعتاب العام 2015 غاب نجم أدب الرعب ليحل مكانه الأدب الرومانسي، وربما كتابات إيروتيكية. في تقليد واضح لنجاح رواية "هيتا" التي تدور حول فكرة الحب للكاتب الشاب محمد صادق.

5

تركت المقهى الثقافي وتوجهت إلى صالة 2، جولة سريعة داخل الصالة تجعلني أشعر بغربة المكان، أين الروايات التي أعرفها ويعرفها كل قراء الأدب المصري؟

دور نشر كثيرة نشأت بعد الثورة تتصدر واجهة الأدب، وفي نفس الآن هي نافذة الشباب لطبع أعمالهم، لا تطمع أن تجد عملاً لصنع الله إبراهيم أو إبراهيم عبد المجيد أو خيرى شلبي أو إبراهيم أصلان بسهولة، لا تحاول البحث عن أعمال نجيب محفوظ، أنت الآن أصبحت واقعا تحت رغبة سوق النشر، لو أراد رعبا فهو رعب، ولو أراد عشقا فهو كذلك.

على أرفف دار "ليان" بصاله 2 ستجد أمامك رواية "شهوة" للكاتبة منال جلال، وعلى الغلاف نصف وجه امرأة تظهر شفاهها في لحظة تأوه، تدور أحداث الرواية عن صراع بين رجل أعمال وطبيب يرغب كل منهما في أن ينسب طفل سيفاح لنفسه.

في نفس الصالة ستجد دار "غراب"، تعرض رواية بعنوان "فياجرا الوجع" للكاتبة سماح أبو العلا، غلاف الرواية في نصفها الأعلى يظهر نصف امرأة وقد تعرت كتفها وهي تتمدد على سرير في غرفة نومها، تتعرض الرواية لمظاهر التحرش بالأنثى، وتناقش قضية التحرش داخل المنزل. تقرأ على غلاف الرواية أنها اجتماعية تتحدث عن تحرش يحدث لفتاة من أخيها في ظل صمت الأسرة بل تتطور المسألة لتحرش الأب.

في نهاية صالة 2 سنجد دار "إبداع" تحمل هي الأخرى بين طياتها رواية "الشاردة" للكاتبة أمل زيادة، على الغلاف وجه امرأة حزينة في

خلفية سوداء وشفاهها يغطيها اللون الأحمر، وعلى صفحة جودريدز كتبت المؤلفة عن روايتها، "الحُبُّ يدُقُّ الباب وقتما يشاء، وقتها فقط ستدرك قيمة الوقت الذي تُهدِّره مع زهراتك، وقتها فقط ستتحركُ مسلوب الإرادة، وقتها فقط ستتعلم فنَّ الغفران والتسامح، وقتها فقط ستدرك قيمة الحياة".

على أرفف المكتبات ستجد رواية صادرة عن دار نون بعنوان "غائمة" للكاتبة فاطمة علي ماضي، التي تحكي أوجاع أنثى في مجتمع شرقي، وعن نفس الدار صدرت رواية "تراويل العزلة" للكاتبة ليلي الشويشان. تدور أحداث الرواية حول فتاة جنوبية تمر بكل أوجاع المرأة الشرقية فتقرر في لحظة ما أن تبحث عن سعادتها في ممارسة الجنس المثلي مع أخريات، وطوال العمل تحكي البطلة حكاياتها في أحضان نساء عرفتهن طوال الرحلة. لكن نظرة من أعلى تقول إن هناك ظاهرة جديدة قادمة، تستغل أوجاع المرأة الشرقية لتحقيق جذبا آخر للشباب، بعد أن بدأ أدب الرعب في الانحسار، أو كاد.

لا أذكر ذلك رفضا لنوع من الكتابة، لكنني أطرح سؤالاً عن توجيه السوق لنوعية معينة من الكتابة، الحديث عن استغلال يقودنا لطرح أسئلة عديدة، في مقدمتها من يستغل من؟ وكيف؟ وفي نفس اللحظة، أين المؤسسة الثقافية الرسمية أو حتى الخاصة التي حفظت تواجد مصر الثقافي على مدار سنوات، ثم في النهاية، كيف لهؤلاء الشباب يتسللون بالآلاف للمشهد الثقافي دون أن يدرك خطواتهم أي من

محرري الثقافة أو المشتغلين بالصحافة الثقافية، فإما أن الصحافة الثقافية تعرف وتتجاهلهم، أو أنها لا تعرف، وفي هذه الحالة تكون فقط واجهة لتكتمل أقسام المواقع الإلكترونية التي لا تبحث إلا عن أخبار السياسة.

6

في يوم سابق لحفل زاب ثروت أخذتني قدمي لخيمة سور الأزبكية داخل المعرض، قلت لنفسني في الكتاب القديم أجد بغيتي، لكن واجهني زحام آخر ضم مئات الشباب يصطفون في طوابير أمام خيمة لدار "دون"، وحين سألت عن اسم الكاتب قالوا إنه الشاعر محمد إبراهيم، فأصابتني دهشة أخرى انضمت لسابقيها، فطالما تحدث النقاد عن موت الشعر وأنه زمن الرواية، لكن كاتباً شاباً طبع ديواناً في دار نشر شبابية أحياء من جديد. فهل حقاً مات الشعر؟ أم أن جيلاً ترك الشعر يموت هو الذي مات؟ أم أن جيلاً ثار منذ سنوات ثم ضاع حلمه بسبب الكبار قرر أن يبني حياته بعيداً عن أناس ظن أنهم السبب في تدمير الحلم؟

وأنا أطرح الأسئلة على ذهني رن هاتفي لأستقبل مكالمة من صديق يحكي لي عن طرفة واجهته في معرض الكتاب، قال إنه رأى شاباً يستوقفون فتيات في المعرض ويحدثونهن عن أهمية الحجاب، يستوقفون السافرات منهن في محاولة لتخوينهن من مغبة ترك الشعر طلقاً في الهواء.

تناقضات استوقفتني، بين ندوة تكريم شيخ التربويين الراحل حامد عمار، التي لم ينتبه لها أحد، وبين حالات الإغماء التي أصابت فتيات في سبيل الوصول لتوقيع زاب ثروت على كتابه الأخير "حييتي"، وبين كتابات تتصدر أغلفتها شفتا امرأة تتأوه من لحظة جنس، وبين أخرى تهرب من واقعها الشرقي إلى ممارسة الجنس مع فتاة مثلها، وبين شباب يقفون هكذا أمام مرأى ومسمع الجميع يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويحثون السافرات من الفتيات على ارتداء الحجاب. وبين مثقف كلاسيكي يجلس في مقهى ريش يكتب على صفحته الشخصية فيس بوك مهاجما ذلك التردي الأدبي الذي وصلت له حالة الكتابة، ثم يعود ويعدل ما كتب بعد أن تعثرت يده على الهاتف الخلوي الذي لا يعرف كيف يستخدمه الشباب بسهولة؟ وكيف أنهم بضغطة زر يحشدون الآلاف من معجبيهم؟

* * *

صناعة النشر في عصر شبكات المعلومات

اقتصاديًا لا ينظر الأغلبية للثقافة على أنها مصدر دخل، قديمًا ربما كانت هذه الفرضية مقبولة؛ ذلك أن معظم منتجات الثقافة في السابق كانت أشياء غير ملموسة، تتلاشى بمجرد عرضها، مثل عروض المسرح والغناء، لكن بمرور الوقت ومع بعض نقاط التحول في المجتمعات اختلفت المسألة، فالمنتج الإبداعي في صورته الأولية أصبح من الإمكان حفظه ونشره في كتاب بعد اختراع المطبعة في القرن الرابع عشر، أو حفظه داخل أسطوانة بداية من القرن التاسع عشر أو فيديو أو كاسيت بالنسبة للصوت والصورة، وبالتالي أصبح بالإمكان استثماره وبيعه. وسواء كان التراث ماديًا أو معنويًا لم يعد بعيدًا عن مصادر الدخل القومي للدول الحديثة، أمريكا كمثال تستورد منتجات تراثية وصناعات يدوية بـ 35 مليار دولار سنويًا، قرى بأكملها في الصين تعتمد في دخلها على الصناعات التقليدية، والحرف التراثية، والمستنسخات.

على مستوى صناعة النشر، وفق تقرير لاتحاد الناشرين الدوليين منشور عام 2012 قدر حجم ما ينفقه القراء على الكتب بـ 114 مليار يورو، وتهيمن 6 أسواق على هذه الصناعة، مقتطعة نحو ثلثي القيمة

العالمية مما ينتجه الناشرون. تصدر الولايات المتحدة الأسواق الستة بواقع 26٪ من القيمة الإجمالية لصناعة النشر، تليها الصين بواقع 12٪، ثم ألمانيا بنسبة تصل إلى 8٪، في المرتبة الرابعة تأتي اليابان بنسبة 7٪، ثم فرنسا خامسة بنسبة 4٪، من حصة سوق النشر العالمية، ومن بعدها بريطانيا بنسبة 3٪، وتتنزع بقية الأسواق العالمية مجتمعة 39٪ من إجمالي صناعة النشر.

* * *

صناعة النشر في مصر

حالة من البلبلة أصابت المشهد الثقافي في مصر تحديدًا، وبعض البلدان العربية، فبرابر 2017؛ حين نشرت جريدة الحياة اللندنية خبرًا عن أحدث روايات الروائي الياباني هاروكي موراكامي، التي باعت 100 ألف نسخة في يومين، وكانت طبعتها الأولى 700 ألف نسخة، وأضافت دار النشر أنها بصدد إصدار طبعة ثانية 600 ألف نسخة من نفس الرواية، في حين أن الرواية في مصر كنموذج لا تتجاوز طبعتها ألف نسخة، إلى جانب أن هذا الرقم استثناء على الأصل، حيث تنخفض الطبعات في أغلب دور النشر إلى 500 نسخة و100 نسخة للطبعة الواحدة، في مجتمع تعداد سكانه 100 مليون نسمة!

لكن هل تعبر هذه المبيعات عن مشهد القراءة الحقيقي في مصر؟ ربما قراءة سريعة لعدد مستخدمي موقع جود ريدز موقع القراءة الأشهر في العالم تزيد المسألة تعقيدًا، ذلك حين نعرف - طبقًا لدراسة غير منشورة للدكتور خالد الغمري - أن مصر هي الدولة رقم 11 على مستوى العالم استخدامًا للموقع بمعدل 509 آلاف مستخدم يقرؤون كتبًا ويكتبون تعليقاتهم عليها ضمن صفحات الموقع، أيضًا حين نعرف أن عدد مستخدمي الموقع في الوطن العربي 2 مليون و500 ألف مستخدم!

كتب الحبيب

حتى عام 2005 لم تعرف مصر مصطلح قوائم الأعلام مبيعاً "بيست سيلر". النشر في حد ذاته مسألة معقدة وحكرًا علمي دوائر ثقافية معينة، عملية بسيطة فيما عرف بالاقتصاد التقليدي. أنت تنتج عملاً إبداعياً في شكله الأولي ثم تسلمه إلى الناشر الذي يجهزه لدخول المطبعة ثم يدفع به إلى المكتبات، وعلى المؤلف أن يحمل الكتاب بنفسه إلى محرري الثقافة في الصحف والمجلات والقنوات الإعلامية المهمة، في الغالب كان المؤلف يتحمل تكاليف نشر الكتاب، الذي لن يعاد طبعه مرة أخرى بعد نفاد نسخ الطبعة الأولى.

هذا الضعف الشديد في صناعة النشر هل كان عائداً لضعف معدلات القراءة؟ قد تكون هذه إجابة سهلة، الناس لا تقرأ، لكن هذه الإجابة تقف في المقابل منها نسبة المبيعات الضخمة لإصدارات وزارة الثقافة المصرية، ومشروع مكتبة الأسرة، الذي تأسس في أوائل التسعينيات من القرن العشرين، حيث كانت تنفذ آلاف النسخ من طبعة العنوان الواحد في أيام. هناك أيضاً مشروع آخر كان دليلاً على أن المسألة ليست إلا سوء تعامل اقتصادي من الناشر والمكتبة والمؤلف مع عملية النشر، وهو مشروع دار نشر المؤسسة العربية الحديثة لصاحبها حمدي مصطفى، هي دار نشر متخصصة في الكتب التعليمية للمراحل المختلفة، التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، تأسست في الستينيات من القرن العشرين، غير أن الرجل ذا الفكر

الاقتصادي المتميز تساءل عن مئات الآلاف من الطلاب الذين يدخلون الجامعة وتتوقف معهم نسبة كبيرة من مشتريات الكتب التعليمية، هنا قرر حمدي مصطفى إصدار عدة سلاسل من كتيبات الجيب الموجهة لهذه الفترات العمرية، حققت مبيعات كبيرة جدًا وحطمت مقولة أن الشباب لا يقرؤون، لتؤسس لمقولة أن هناك أزمة في عملية الصناعة والتسويق لها.

في شهر مارس من عام 2000، أسس "داني دبور" موقع "روايات" الذي تخصص في تجميع محبي روايات مصرية للجيب من كل الوطن العربي في مكان واحد. تخرج داني في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان يقيم في قطر قبل أن ينتقل مؤخرًا إلى كندا بشكل دائم، الفكرة استهوت "صالح سمير حداد" وهو المشرف الأول والرئيسي على الموقع، والشخص الذي تولى تحقيق الفكرة وتحويلها إلى واقع. والذي تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت في علوم الكمبيوتر، ويعمل حاليًا في مجال تطوير المواقع، وهو من قام بتصميم وإنشاء جميع صفحات وأقسام موقع روايات وبرمجتها بنفسه، وهو فلسطيني مقيم حاليًا في كندا.

لكن النقطة الأهم كانت في 27 سبتمبر سنة 2000، حين أطلق «هاني رمزي عبدالله» موقع ومنتدى "شبكة روايات التفاعلية" على الإنترنت. عبدالله، مهندس نظم وشبكات، مواليد 13 يناير 1978، وهو أيضًا أحد من ساهموا في تأسيس موقع روايات مع "داني دبور"

اللبناني، و"صالح سمير حداد" الفلسطيني. ثم قام بربط الموقعين ليمثلا نافذة مهمة لكل عشاق نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق في مصر والعالم العربي.

لكن هذه المواقع دون أن تدري حولت آلاف القراء في تعلم العربي إلى كتاب، حيث كانت تعطي مساحة لزوار الموقع نشر خواطرهم وقصصهم ومقالاتهم على المنتديات، فتحولت هذه المواقع إلى ورش تعليم الكتابة، فأنت تجلس بالساعات على هذه المنتديات مثل ما يحدث الآن على موقع فيس بوك، تكتب كل ما يجول بخاطرک، ترسم يومك في كلمات، في البداية لم تكن ترودك مسألة النشر، لكن بمرور الوقت أدركت لذة الكتابة، ومع ديمومة الكتابة تعلمت من هذه الورش ومن ردود الأصدقاء وتعليقاتهم. أين مواطن الخطأ، وبدأت في تصحيحها، وبدأت في استساغة ما تكتب. ثم بدأ الحلم يراود الجميع، حلم النشر.

حلم النشر:

في عام 2005 تأسست أول دار نشر في القاهرة بدأت كمنتدى أدبي على الإنترنت يجمع المهتمين بالكتب، لتحمل دار النشر اسم نفس الموقع "دار ليلي".

نستطيع أن نتحدث عن عام 2005 قائلين، قبل وبعد، ذلك أن التسارع الدرامي لاستخدام شبكات المعلومات وسطوة مواقع التواصل الاجتماعي أصبح أيضاً سوقاً كبيراً للترويج لأي شيء وكل

شيء، فبعد أن كان الكاتب بإمكانه الوصول لعشرات من القراء قبل عام 2000 صار من السهولة بمكان أن يصل إلى ملايين ممن يستخدمون الإنترنت، ففي عام 2010 كمثال وصل عدد مستخدمي موقع واحد على الشبكة العنكبوتية "فيس بوك" إلى مليون مستخدم، وارتفع هذا الرقم بشكل درامي عام 2016 إلى 34 مليون مستخدم داخل مصر فقط، هذا التسارع استفاد منه جيل كامل من شباب الكتاب لتسويق أعمالهم بين ملايين المستخدمين والذي كان سببا عام 2013 أن رواية الفيل الأزرق للكاتب الشاب أحمد مراد باعت 100 ألف نسخة خلال العام الأول من صدورها حسب تصريحات الناشر.

وفي نفس العام ارتفع عدد دور النشر الخاصة المسجلة في اتحاد ناشري مصر من 260 دار نشر عام 2013 إلى 1100 دار نشر عام 2018 لمواكبة هذه الزيادة.

عام 2012 فقط تأسست 50 دار نشر مهتمة بنشر أعمال الشباب من لهم مدونات إلكترونية للكتابة على الإنترنت، والتي وصل تعدادها إلى 150 ألف مدونة عام 2005 بحسب دراسة عن النشر صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة، ذلك ما دفع أيضا اتحاد الناشرين المصريين عام 2013 لوضع قواعد لممارسة مهنة النشر بعد 60 عاما من تأسيسه! لضبط عملية النشر التي فاقت تصوراته لكنه لا يزال عاجزا عن إتمام عملية الضبط، خاصة وأنه لا زال يتعامل مع هذه التطورات الدرامية بنفس العقلية التقليدية غير المستوعبة لما يحدث.

سوق مواز:

الطفرات الكبيرة في عالم النشر في مصر لم يستفد منها صانع الكتاب الأصلي، حيث تسببت هذه الطفرة إلى جانب عجز الصانع في مجاراتها إلى ظهور ما يعرف في علم الاقتصاد بـ "السوق الموازي". أسباب ظهور ذلك السوق الذي تنتشر فيه الكتب غير الأصلية "المزورة" التي تؤرق نوم صناع النشر في الوطن العربي لا تعود إلى المزور، بل السبب هو صانع الكاتب نفسه، الناشر.

قبل عام 2005 كان نشر مؤلف لكتابه لا يتم في مصر إلا عن طريق دوائر معروفة، سواء الانتماء لمراكز وزارة الثقافة الرسمية المنتشرة في العاصمة والمحافظات المختلفة، أو الانضمام لتجمعات المثقفين في منطقة وسط البلد في العاصمة القاهرة، هذا أيضا معناه أنك ستخرج متأثرا بنفس الخلفية الثقافية لهذه الجماعات، لكن ما حدث مع سيطرة شبكات الإنترنت أنك أصبحت أمام منتج أولي نشأ عن ثقافات متعددة ومختلفة صعب احتواؤها في وعاء واحد، هذه الزيادة الكبيرة على مستوى المنتج والقراء التي قابلها عجز من مؤسسات النشر في مصر على مستوى التوزيع وتوفير الكتاب في المحافظات البعيدة أو على مستوى التسويق تسبب في ظهور سوق مواز يقوم بطبع نسخ غير أصلية لنجد أن 90٪ من مكتبات جنوب وشمال مصر كمثال جميع ما يباع فيها من كتب هي غير أصلية؛ لأن السوق الموازي عمل على توفير ما عجز عنه الناشر الأصلي.

تقرير حالة القراءة في مصر الذي أعده الدكتور زين عبد الهادي أستاذ علم المكتبات بجامعة حلوان أشار إلى صدور 30 ألف عنوان في مصر عام 2016، طبع من هذه العناوين 20 مليون نسخة في جميع فروع الكتابة، سواء الأدبية أو الكتب التعليمية، أي بمعدل كتاب لكل خمسة مواطنين، وهو متوسط لا تعبر عنه نسبة المبيعات في دور النشر المصرية وذلك معناه أن السوق الموازي الذي يسيطر على معدلات البيع هو الرابع الوحيد في ظل ضعف القوانين التي لم تتغير منذ تأسيس اتحاد ناشري مصر في الخمسينيات.

عصر جديد:

ما سبق يتطلب من صناع النشر في مصر أن يبدؤوا في التخطيط لدخول عصر جديد من صناعة النشر، على مستوى التسويق، والتوزيع، والضغط عن طريق النقابات والاتحادات المختصة لإصدار قوانين لضبط المسألة، وأيضاً معالجة بعض عوامل الفساد داخل دوائر النشر الرسمية في مصر.

إلى جانب الوضع في الاعتبار تراجع معدلات استخدام الكتاب الورقي لصالح الكتاب الإلكتروني فهو شكل جديد للمنتج متأثر باقتصاديات المعرفة والاستخدام المرتفع لشبكات المعلومات، فلم يعد الكتاب الورقي هو الوسيط الوحيد لكن إلى جانبه هناك الكتاب الإلكتروني، أو الكتاب الصوتي، وهو أحدث هذه الأشكال الذي يجعل من السهولة عليك قراءة كتاب حتى لو كنت تجهل القراءة والكتابة، فأنت هنا تسمعه مسجلاً لا تقرأه مكتوباً.

أيضا ظهور العديد من سلاسل المكتبات يساهم في علاج أزمة توزيع الكتاب وتسويقه لكنها لا تتناسب حتى الآن مع الطلب على الكتاب، أضف إلى ذلك تحول هذه السلاسل إلى محتكر يفرض على الناشرين نوعية الكتب التي سيعرضها في فروعه، ويرفض أخرى، العديد من المكتبات في القاهرة ترفض عرض دواوين الشعر والمجموعات القصصية بحجة أنها لا تباع. وفي واقعة بأحد فروع المكتبات الشهيرة بالقاهرة ثبت حصول أحد الموظفين على مبالغ مالية من الأدباء الشباب لوضع أعمالهم في قوائم الأعلى مبيعا لإيهام القارئ أنها أعمال جيدة يشتريها القراء، أيضا بعض الناشرين في القاهرة يفرضون على المكتبات وضع إصداراتهم في قوائم الأعلى مبيعا مقابل حصول الموزع على نسبة خصم تكاد تصل إلى 70٪، في مقابل إيهام القارئ من خلال سلاسل المكتبات الشهيرة أن الكتاب مرغوب من القراء، وهو ما نجحت فيه إحدى سلاسل المكتبات مع روائي شاب أصبح الأعلى مبيعا في القاهرة بالفعل وتحقق مبيعات رواياته الآن عشرات الآلاف من النسخ في حين أنها أعمال رديئة جدا على المستوى الفني. ويرى الناشر وصاحب المكتبة أن ما حدث يقع في إطار التسويق والتجارة المشروعة وليس إيهاما للقارئ!

* * *

هل متوسط قراءة العربي ٦ دقائق؟!

يستند معظم من يذكر أعداد القراء إلى تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة، وتقرير التنمية الإنسانية العربية الصادر عن المؤسسة نفسها، بعضهم أيضًا يشير إلى التقرير العربي للتنمية الثقافية الصادر عن مؤسسة الفكر العربي.

ذكر مصادر الأعداد يقطع الشك باليقين، ويجعل من الصعب إثبات أية فرضية مغايرة، بأن العربي ربما يقرأ، أو أن متوسط قراءته 6 دقائق في السنة، ربما تمت زحزحته ليصبح عشر دقائق، أو أكثر.

فعبارة "متوسط قراءة العربي 6 دقائق في السنة"، هي الأكثر تداولاً في وسائل الإعلام العربية خلال عدة أعوام خلت، يلحق بتلك العبارة جملة أخرى، توضّح حجم الفجوة؛ حيث تسرد غالبية التقارير الصحفية أن متوسط القراءة في الدول الأوروبية، حوالي 200 ساعة سنوياً.

واستناداً إلى تلك الأرقام الهزيلة، سطرت عشرات المقالات بحثاً عن إجابة السؤال الأهم خلال الأعوام الماضية؛ متى يُستهض شغف المعرفة لدى "أمة اقرأ"؟!

أسواق تهيمن على القراءة:

وفق تقرير صدر عام 2012 عن "اتحاد الناشرين الدوليين"، قدّر حجم ما ينفقه القراء على الكتب بـ 114 مليار يورو، وتهيمن 6 أسواق على هذه الصناعة، باحتكارها 71 في المئة منها، وتتصدرها الولايات المتحدة بحصة 26 في المئة، تليها الصين "12 في المئة"، وألمانيا "8 في المئة"، واليابان "7 في المئة"، وفرنسا "4 في المئة"، وبريطانيا "3 في المئة".

حجم الصناعة يشير إلى معدلات القراءة المرتفعة في الغرب. غير أن محاولة إدراك حجم تلك القراءة عربيًا مسألة معقدة جدًا؛ فلا توجد أرقام محددة يمكننا الاعتماد عليها للإجابة عن سؤال: هل يقرأ العرب؟ إلى جانب أن معظم مراكز صناعة الكتاب ترفض الإفصاح عن أرقام بيع الكتب، التي نستطيع أن نستدلّ من خلالها على حجم قراءة المواطن العربي، بعض تلك المؤسسات لا يقوم بعمل ذلك الحصر من الأساس.

اتحاد الناشرين العرب:

رئيس اتحاد الناشرين العرب، محمد رشاد، أكد أن معدلات القراءة في المنطقة العربية "مرتفعة جدًا"، يتضح ذلك من حجم المبيعات والمشاركات في معارض الكتاب بالمنطقة العربية، لافتًا إلى أن الحديث عن 6 دقائق متوسط قراءة الفرد العربي، مسألة "عارية تمامًا من الصحة".

رشاد قال أيضًا إنه لا توجد قاعدة بيانات يمكن الاعتماد عليها فيما يخص حركة النشر وبيع الكتاب في المنطقة العربية، وأشار إلى أن واحدة من أمنيته، هي أن يعمل على تدشين قاعدة البيانات تلك، غير أن المسألة ليست بالسهولة التي قد يظنها البعض.

في السياق نفسه، ذكر رشاد أن من أسباب صعوبة تحديد قواعد بيانات حقيقية لمعدلات بيع الكتاب وقراءته في المنطقة العربية، تفشي ظاهرة الكتب المزورة، وهي تجارة "رائجة عربيًا"، تعتمد على طبع وتصوير الكتب وبيعها، دون احترام حقوق الملكية الفكرية، وحقوق المؤلف والناشر، لافتًا إلى أن مصر "في مقدمة الدول العربية التي تعاني أزمة عدم احترام حقوق الملكية الفكرية"، منوهاً إلى أن ذلك ربما يتسبب في فرض عقوبات اقتصادية مستقبلاً، إن لم يتم تحجيم هذا السوق.

حديث رئيس اتحاد الناشرين العرب، محمد رشاد، وضع فرضية ضعف متوسط قراءة العربي في مازق، غير أن المأزق الأكبر هو عدم وجود بيانات رسمية نستطيع الاعتماد عليها. وقد باءت محاولة للتواصل مع بعض الناشرين في القاهرة، لمعرفة أرقام الطباعة والبيع، بالفشل سريعاً؛ إذ رفض أغلب الناشرين الإفصاح عن أرقام المبيعات، وعلل بعضهم ذلك بأنه لا توجد أرقام محددة بالفعل، وأن دور النشر لم تكن تهتم بمسألة حصر نسبة طبعات الكتب ومبيعاتها.

هل يقرأ العربي؟

مديرة النشر في الدار المصرية اللبنانية، نرمين رشاد أشارت إلى أن الملاحظ هو زيادة عدد النسخ المباعة، لافتة إلى أن مبيعات الدار، قبل يناير 2011، كانت في "تزايد"، معتمدة على البيع للجهات الحكومية والمكتبات العامة في مصر والدول العربية، لكن بعد الثورة "تراجعت" الحكومات والجهات عن الشراء من الناشرين؛ بسبب ضعف الميزانيات، في حين "تزايدت" القوة الشرائية للقراء.

وأضافت أن متوسط المبيعات للكتاب الواحد الذي تستطيع الدار أن تحكم من خلاله أن الكتاب ضمن قائمة الأكثر مبيعاً من عدمه، هو 10 آلاف نسخة، وذكرت أن كتاب الدار الأكثر مبيعاً مثل: أشرف العشماوي، وعصام يوسف، ونور عبد المجيد، وشريف عرفة، ورشا سمير، تخطت مبيعاتهم 10 آلاف نسخة للكتاب الواحد، وأن ذلك الرقم ربما يكون خلال مبيعات عام واحد، وبعضها على مدار أعوام. ونوهت نرمين رشاد، أيضاً، إلى أن مبيعات رواية "ربع جرام"، للكاتب والإعلامي عصام يوسف، تجاوزت ربع مليون نسخة في عشرة أعوام، مشيرة إلى أن ذلك الرقم ربما يتجاوز مليون نسخة مباعة، لو وضعنا في الاعتبار عدد النسخ المزورة المباعة دون احترام حقوق المؤلف والناشر.

الأرقام التي أشارت إليها الناشرة نرمين رشاد تشير إلى فجوة حقيقية بين معدلات القراءة الهزيلة المنشورة، وبين عدد النسخ المباعة

من الكتب، الأرقام نفسها أكدتها مصادر من سوق النشر في القاهرة؛ إذ أشار أحد العاملين في صناعة الكتاب بمصر إلى أن مبيعات الرواية التونسية خولة حمدي، تجاوزت 850 ألف نسخة، من روايتها الأشهر "في قلبي أنثى عبرية"، وأن رواية أحمد مراد "الفيل الأزرق"، حققت مليون نسخة مبيعًا، منذ صدور طبعتها الأولى عام 2013.

بينما يقول هاني عبد الله، مؤسس "دار الرواق"، "بأنه رغم تأسيس دار الرواق عام 2011، فإنه يعمل في سوق صناعة الكتاب قبل ذلك بأعوام، ومن خلال رؤيته لسوق الكتاب، أوضح أن "معدل القراءة عربيًا ارتفع كثيرًا بعد ثورات الربيع العربي، بنسبة 40٪، والشريحة العمرية الأكثر قراءة بين تلك النسبة للشباب، من عمر 16 عامًا حتى 23 عامًا، وقد تمثل نسبة 67٪ من القراء في مصر".

ذلك الارتفاع بين تلك الشريحة العمرية، من وجهة نظر هاني عبد الله، يفسّر توجهات الكتب الأعلى مبيعًا في مصر؛ فالشباب يميلون لنوعية معينة من الكتب، هي التي تسيطر على سوق مبيعاته، وليس معنى ذلك عدم تواجد نوعيات أخرى من الكتب، لكن الشريحة المستهدفة منها قليلة.

زمن الرواية:

بخصوص نوعية الكتب المقروءة؛ مصريًا وعربيًا، قال هاني عبد الله: "الرواية تحتل المرتبة رقم واحد، وفي الأعوام الأخيرة

تراجعت بعض نوعيات الكتب، التي انتشرت قبل 2011، مثل كتب التنمية البشرية"، لافتًا إلى أن دار الرواق بدأت في تقديم تلك النوعية من الكتب بشكل مختلف، مثل؛ كتاب سندريلا سيكرت، الذي وإن كان كتاب تنمية ذاتية، لكن كُتب، شكلاً ومضموناً، على غير نوعية كتابات التنمية البشرية السابقة، وبالفعل حقق مبيعات مرتفعة، بحسب تصريحات الناشر.

وأردف هاني عبد الله: "هناك نوعيات من الكتب كانت موجودة من قبل، لكنها لا تحقق المبيعات المطلوبة وسط شريحة القراء الشباب، مثل كتب التاريخ"، موضحاً أن الدار عالجت ذلك بتقديم كتب التاريخ بطرح مختلف، مثل كتابات التاريخ التي يقدمها وليد فكري؛ إذ حققت كتاباته، خلال الأعوام الأربعة الأخيرة، 54 ألف نسخة مبيعاً، لافتاً إلى أن مبيعات رواية "هيتا"، للكاتب محمد صادق، تجاوزت مليون نسخة حتى الآن، سواء كنسخ أصلية صادرة عن الدار، أو نسخ غير شرعية تباع في الأسواق دون احترام حقوق المؤلف والناشر.

ومن أكثر الأسواق التي تحقق رواجاً ومبيعاً للكتب، بحسب تصريحات مؤسس دار الرواق، السوق السعودي، والإماراتي، والكويتي، ومن أكثر الوسائل التي تؤثر في حجم مبيعات الكتاب، في الأعوام الثلاثة الأخيرة، السوشيال ميديا، مثل: تويتر وفيس بوك والانستجرام.

القارئ السعودي:

محمد مفيد مدير دار دون المصرية، قال: "لا يوجد مقياس معين نستطيع من خلاله تحديد توجهات القراءة للشريحة المستهدفة في المعارض الدولية المختلفة للكتاب". وضرب مثلاً بالقارئ السعودي الذي كان لأعوام مهتمًا بالرواية، لكن منذ سنتين تقريبًا، بدأ القارئ السعودي يميل للكتاب الفكري، خصوصًا بعد 2013، فالجمهور عمومًا متقلب جدًا، وقد كنا نركز في بدايات الدار على الروايات والقصص والأعمال الأدبية عمومًا، وعندما بدأنا المشاركة بالمعارض الخارجية، اكتشفنا أن ذائقة القراءة تختلف من دولة لأخرى، وذلك كان سببًا مباشرًا في تغيير خطة النشر". وتابع: أصبحنا ننشر إلى جانب الأعمال الأدبية، أعمالًا فكرية وتاريخية وسياسية، مثل: موسوعة تراث مصري، والأعمال الفكرية للدكتور عبد الوهاب المسيري، وموسوعة المشاهير لهايدي عبد اللطيف، وسلسلة فتح مصر لعمر و منير.

ومنذ بداية تواجدنا في سوق النشر، "نؤمن بأن دورنا هو النزول للناس، لنأخذهم بعد ذلك إلى مراتب أكبر من نوعية القراءة".

الناقد السعودي، محمد العباس، أكد حديث محمد مفيد، حول وضع القراءة في السعودية، قائلاً: "أعتقد أن الكتابات الفكرية هي الأكثر جذبًا للقارئ السعودي؛ لأنها كتب المهتمين فعلاً بالقراءة، سواء من أجل الجدل أو المعرفة الأكاديمية، أو الاطلاع الشخصي،

أما الأدب، خاصة الروايات والمجموعات الشعرية الخفيفة؛ فهي أدوات الناشئة للتباهي والحضور في المشهد".

تقرير اليونسكو؛

التقارير الصحفية التي تحدثت عن أن متوسط قراءة الفرد العربي (٦ دقائق في السنة، أشار بعضها إلى تقرير اليونسكو، وأشارت تقارير أخرى لتقرير مؤسسة "الفكر العربي" عن حالة القراءة في المنطقة العربية، غير أن أحداً لم يحدد العام الذي صدرت فيه التقارير.

في البحث في تقارير مؤسسة الفكر العربي، نجد أن التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية، الصادر عن مؤسسة "الفكر العربي"، عام 2010، ذكر في فصل بعنوان "حركة التأليف والنشر في العام 2009، ماذا قرأ العرب في العام"، أن حركة النشر في الوطن العربي تفتقر إلى نظام إحصائي شامل، وسعى التقرير إلى إجراء إحصائيات لحركة النشر في الوطن العربي، استهدفت الفئة العمرية من 15 إلى 65 عاماً، من خلال عينة عشوائية من المواطنين العرب، تقريباً 1215 شخصاً، إلى جانب 160 ناشراً عربياً، وأوضح التقرير أن الفئة الغالبة على عينة البحث أكثرها من مصر وتونس.

التقرير أشار أيضاً إلى دراسات سابقة، لفتت إلى انخفاض نسبة القراءة بين العرب عموماً، جاء في التقرير: "إذ أشار البعض مثلاً، إلى دراسة قاربت بين متوسط ساعات القراءة عند العرب والأوروبيين، فجاءت النسبة، بالطبع، لمصلحة الأوروبيين، متوسط القراءة في

الدول الأوروبية حوالي 200 ساعة سنوياً، بينما تنخفض هذه الساعات وتنقلص إلى 6 دقائق سنوياً للفرد العربي."

وذكر التقرير "أن هذه المقارنة قد تكون غير منطقية؛ لأن المتعارف عليه علمياً، يتمثل في ضرورة إجراء المقارنة بين متناظرين في الظروف كافة (الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية،... إلخ)، فأين التناظر بين الوضع في العالم العربي والعالم الأوروبي؟".

تقرير مؤسسة الفكر العربي، اعتمد في عمليات الإحصاء لمتوسط بيع الكتب ونشرها، ومعدلات القراءة للفرد العربي، على تقرير التنمية البشرية في المنطقة العربية، الصادر عن معهد اليونسكو للإحصاء.

والآلاف للانتباه في المسألة أن التقرير الذي ينسب إليه متوسط 6 دقائق قراءة للفرد العربي، صدر عام 2003، وأنه منذ ذلك التاريخ لم يتم تقديم أية تقارير جديدة عن متوسط القراءة، ومعدلات طباعة الكتاب العربي ونشره وبيعه!

بالعودة إلى تقرير التنمية البشرية عام 2003، وبعض التقارير اللاحقة؛ نقرأ في الهامش العبارة الآتية: "نظراً لعدم توافر بيانات حديثة، فقد جرى استخدام تقديرات صادرة عن معهد اليونسكو للإحصاء 2003، وهي تقديرات تستند إلى معلومات واردة في تعدادات السكان واستقصاءات قديمة ويجب توخي الحذر عند التعامل معها".

لكن قراءة سريعة لعدد مستخدمي مواقع السوشال ميديا، المهمة بالقراءة في الوطن العربي، تشير إلى طفرة كبيرة في متوسط القراءة،

خصوصًا في الأعوام التي أعقبت ثورات الربيع العربي، يناير 2011، تجعل الاعتماد على تقارير صادرة عام 2003، مسألة غير موضوعية للحكم على متوسط قراءة الفرد العربي.

Good Reads

"جود ريدز"؛ موقع القراءة الأشهر في العالم، يضع مصر في المرتبة الـ 11 للدول الأكثر استخدامًا له، بحسب دراسات غير منشورة لأستاذ علم الحاسوب بجامعة عين شمس خالد الغمري، ويصل الجمهور المصري الذي يهتم بقراءة الكتب على "جود ريدز"، إلى قرابة 509 آلاف قارئ، يمارسون قراءة الكتب وكتابة التعليقات عليها.

ويلاحظ أن مجمل الجمهور العربي على "جود ريدز"، لا يتجاوز 5.2 مليون مستخدم، طبقًا لإحصاء عدد مستخدمي الإنترنت عام 2016، فإن مستخدمي السوشيال ميديا في العالم: حوالي مليارين ونصف المليار، نصيب فيس بوك: مليار و860 مليونًا، منهم أكثر بقليل من 30 مليونًا في مصر.

يستخدم موقع "جود ريدز"؛ حوالي 50 مليون مستخدم في العالم؛ أمريكا رقم واحد بواقع 20.3 مليون، السعودية رقم 13 بواقع حوالي 432 ألفًا، الإمارات رقم 26 بواقع حوالي 263 ألفًا، الجزائر رقم 31 بواقع حوالي 206 ألف، المغرب رقم 33 بواقع حوالي 202 ألف، العراق رقم 50 بواقع حوالي 114 ألفًا، الأردن رقم 51 بواقع حوالي

113 ألفا، تونس رقم 54 بواقع حوالي 95 ألفا، لبنان رقم 59 بواقع حوالي 87 ألفا، الكويت رقم 66 بواقع حوالي 69 ألفا، عمان رقم 68 بواقع حوالي 57 ألفا، فلسطين رقم 69 بواقع حوالي 58 ألفا، سوريا رقم 70 بواقع حوالي 57 ألفا، قطر رقم 71 بواقع حوالي 56 ألفا، السودان رقم 72 بواقع حوالي 55 ألفا، البحرين رقم 80 بواقع حوالي 35 ألفا، ليبيا رقم 92 بواقع حوالي 29 ألفا، اليمن رقم 119 بواقع حوالي 13 ألفا، موريتانيا رقم 151 بواقع 3.5 ألف.

ما سبق يشير إلى فجوة حقيقية بين واقع سوق القراءة في الوطن العربي، والتقارير المنشورة التي لم تتغير منذ عام 2003، ويشير أيضًا إلى النهوض الهائل الذي سبّته مواقع التواصل الاجتماعي لحال القراءة، وإلى ضرورة تدشين قواعد بيانات تسعى إلى فهم الأرقام الجديدة، المطروحة على ساحة القراءة في الوطن العربي.

* * *

دولة الكتاب الأعلى مبيعا

1

هناك دولتان للأدباء: دولة شرعية يعرفها النقاد، ويؤطرون لها، ويؤسسون النظريات الأدبية بناء على ما يخرج من دور نشرها، وهناك دولة أخرى لا يعرفها النقاد، لا نقول يتناسون وجودها، أو يحاولون تغييب هذه الدولة، لكن هم بالفعل لا يعرفون عنها شيئا.

منذ 5 أعوام، تحديدا الجمعة 19 سبتمبر 2014 استضافت قناة CBC ثلاثة من الكتاب الشباب من تلك الدولة التي لا يعرفها النقاد، أحدهم يكتب أدب الرعب، وهو الكاتب الشاب محمد عصمت، والآخر الكاتب الشاب محمد صادق صاحب رواية "هيتا"، والثالث شريف أسعد الكاتب الساخر. من يدقق في الحلقة جيدا يدرك المشكلة، والأسباب، والنتائج، فقط من أسئلة المذيع وإجابات الكتاب، ربما لم يقصد أحدهم ذلك، المؤكد أنها جاءت عفوية، لأن أحدهم لا يدرك أن هناك دولتين ويحاول أن يتعامل مع المسألة فقط على أنها مجالية، وأن هناك جيلا يسلم الراية لجيل آخر، لكن في الحقيقة هي دولة جديدة تصل بجذورها الفعلية على الأرض إلى العام 2003، حين أصدر الكاتب الشاب أحمد العايدي رواية

"أن تكون عباس العبد"، ليصدم الجميع بشكل مختلف في الكتابة، وانصدمة الأخرى، حين نتحدث عن مبيعات لرواية بالآلاف في زمن كانت أعظم الأسماء لا تبيع أعمالهم سوى عشرات النسخ.

لكن قبل أحمد العايدي كان هناك العرابان اللذان خرج هؤلاء الشباب من رحم كتاباتهما، إنهما الكاتبان أحمد خالد توفيق، ونبيل فاروق.

ردود أفعال الكتاب والأدباء ومحوري الصحافة الثقافية على حلقة CBC مع الكتاب الشباب لم تكن غريبة، بل هي متوقعة، البعض سأل: من هؤلاء؟! آخرون هاجموا مباشرة، واعتبروها مسألة "قلة أدب"، لكنهم تغافلوا عن أن هؤلاء الكتاب الشباب وصلت مبيعات رواياتهم لعدة آلاف من النسخ وهي مسألة تستحق الدراسة.

2

في العام 1960 أسس الأستاذ، حمدي مصطفى "المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع"، ثم كان أول ظهور لكتب "سلاح التلميذ" التي تخصصت في المناهج التعليمية لسنوات المرحلة الابتدائية، ثم في العام 1970 صدرت كتب "المعلم" لمناهج المراحل التعليمية الإعدادية والثانوية، بيد أن المؤسسة أدركت سوقاً شرائياً ضخماً لا ينتبه إليه أحد، فقررت أن تحافظ على قارئها بإصدار سلاسل "روايات مصرية للجيب"، والتي بدأت مع الدكتور نبيل فاروق في العام 1984، بسلسلة "رجل المستحيل" و"ملف المستقبل"، وكان لها ذلك حيث حققت انتشاراً هائلاً في مصر والعالم العربي، ثم في أوائل

التسعينيات انضم للمؤسسة الدكتور أحمد خالد توفيق بسلسلة "ما وراء الطبيعة" والتي رفضت اللجنة المخصصة لقراءة أعمال توفيق في البداية ما كتبه، واعتبرتها أعمالاً ضعيفة، لكن المؤسسة عرضتها على لجنة أخرى، وكان الرد بالموافقة، المفارقة في المسألة أن الذي أشر بالموافقة على اعتماد أحمد خالد توفيق كاتباً كان الدكتور نبيل فاروق من كتاب المؤسسة، ليكوناً بذلك ثنائياً أرق المشهد الثقافي المصري بما أنتجه من رجيل كامل من شباب الكتاب، تشكلت خلفيته الثقافية على كتابتهما. رجيل في أغلبه لا يعرف جيل الستينيات، ولا السبعينيات، ولم ينتفض مع جيل التسعينيات ليؤسس ثقافته المستقلة الخاصة، ولا علاقة لأغلبه باليسار، ولا ماركس، وعلاقة أغلبهم بنجيب محفوظ ما يشاهده من أعماله المصورة في السينما والتلفزيون، لكن حين تسأل أحدهم لمن تحب أن تقرأ؟ مباشرة يحدثك عن نجيب محفوظ، بعد أن يكون قد ذكر خالد توفيق ونبيل فاروق، فقط لأن المسألة أصبحت نمطية، ولأن محفوظ بعد نوبل صار هو الأشهر وترديد اسمه على اللسان يعطي ثقلاً للمتحدث.

بعد مرور 16 عاماً من كتابات نبيل فاروق و8 سنوات من كتابات أحمد خالد توفيق بدأ محبوهما في مصر والعالم العربي يفكرون في وسيلة تجمعهما في صعيد واحد.

3

تحولت المسألة من رغبة شاب في طباعة كتاب ومشاهدة كلماته مطبوعة إلى تجارة رابحة أدرك مغزاها البعض، وتعددت الدور،

لدرجة أن بعض الكتاب الشباب انفصلوا عن دور النشر وأسسوا دورهم الخاصة، ومع حدة المنافسة بدأت بعض دور النشر تصنع نجوما للكتابة، يرفعون من اسم الدار بين أوساط الشباب، كل منهم يحاول بطريقته أن يحصل على أكبر قدر من القراء، وتتلخص هذه المحاولات في ثلاثة أشياء، هي مثلث صناعة النجم.

(أ) قوائم الأعلى مبيعا:

مع تعدد دور نشر الشباب كان الاهتمام بصناعة نجم شاغلا دائما، هنا كان من المهم أن تلعب هذه الدور على مسألة الأعلى مبيعا "البيست سيلر"، لكن تلاعبت بعض دور النشر في قوائم الأعلى مبيعا، وعدد الطبعات. فأصبح من الممكن أن تجد كتبا في هذه القوائم ربما لم يشتريها أحد من قبل، لكن القارئ الشغوف بمسألة الأعلى مبيعا سريعا ما يتلهف لاقتناء هذه الإصدارات، ولأن الطبعة الواحدة كانت تمثل عدد النسخ فيها 2000 نسخة أو 1000 كحد أدنى بدأت دور نشر الشباب تقلل من عدد النسخ في الطبعة الواحدة إلى 500 نسخة وأحيانا 200 و300، حتى تجاري مسألة الأعلى مبيعا، حتى أصبحنا نسمع عن كتاب حقق 20 طبعة مثلا وقد لا يكون حجم مبيعاته جاوز العشرة آلاف نسخة، الرقم الذي كان يتحقق مع ثلاث أو أربع طبعات فيما سبق.

(ب) التراس الأدباء:

لعب موقع فيس بوك وتويتر دورا مهما في صعود نجوم هؤلاء الشباب، حيث أصبح لديك القدرة أن تصل إلى آلاف الشباب

بـ «كلكة» نقرة على الكيبورد، كفيلة بأن تصل المعلومة إلى الآلاف، وكما كان هناك تلاعب في الطباعات كان هناك تلاعب أيضا على هذه المواقع، فأصبح كما لنجوم الكرة ألتراس يدافعون عنهم حتى وإن أخطأ الفريق، أصبح هناك ألتراس للكتاب الشباب يدافعون عنهم وينشرون صورة مغايرة للجميع أن صاحب هذا الكتاب "لم تنجبه ولأدة"، وظهرت جروبات على الفيس تضم آلاف الأعضاء للدفاع عن كاتب أو كتاب.

(ج) الكتب المزورة:

يتتهي ثالث صناعة النجم بعد ذكر دور قوائم الأعلى مبيعا وذكر ألتراس الأدباء بمسألة الكتب المزورة. عادة عندما يشتهر كتاب كانت بعض المطابع الصغيرة تلهث لطباعته بشكل غير شرعي دون مراعاة حقوق المؤلف أو الناشر، وكان تزوير كتاب دليل على نجاحه، والمسألة كانت تتسبب في نجومية الكاتب، لكن مؤخرا أصبحت بعض دور نشر الشباب تقوم بعمل ذلك بالاتفاق مع هذه المطابع في مقابل نسبة تحصل عليها الدار، لنجد فجأة على الأرصفة كتباً لشباب لم يكن يعرفهم أحد وفجأة أصبحت الأرصفة التي يشغلها باعة الصحف مكتظة بكتابات هؤلاء الشباب. المسألة التي ينخدع لها القارئ ويظن أن الكتاب مقروء فيقتنيه.

4

في العام 2010 تقريبا بدأت دور نشر كبيرة مثل دار «الشروق» تنتهب إلى الكتاب الشباب، فطبعت الدار رواية «تراب الماس» للكاتب

الشاب أحمد مراد، الذي سبق أن حققت روايته "فيرتيجو" نجاحاً إثر طبعها في دار "ميريت" للنشر، والتي أعيد طبعها بعد ذلك في دار العلوم طبعة يجهلها البعض، ثم أعادت دار الشروق طبعها مرة أخرى عام 2012، رواية "فيرتيجو" التي ظلت شهوراً على أرفف دار "ميريت" لا يشتريها أحد وجدت طريقها فجأة وبقوة بين الشباب، لتتلقف الدار الأكبر في مصر ذلك الخيط، وتغذيه، ومع هذا النجاح الهائل الذي حققه مراد حيث تجاوزت حجم مبيعاته الـ 100 ألف نسخة في عام صدور الرواية، وقدمت روايته "الفيل الأزرق" فيلماً سينمائياً تصدر شباك التذاكر، بدأت دور نشر أخرى تتبته، لئلا يرى شباباً تنشر أعمالهم في "الدار المصرية اللبنانية" ودار "العين" ودار "نهضة مصر"، ثم دخلت إلى سوق النشر أسماء أخرى اهتمت بالنشر للشباب خاصة.

في معرض القاهرة الدولي للكتاب 2014، أحمد مراد هو نجم بشدة، حيث كان من الصعب أن يغفل النقاد رواية تحقق هذا الحجم من المبيعات وتتفوق على مبيعات روايات نجيب محفوظ التي تصدرها نفس الدار، فكان رد النقاد أن أعمال مراد ظاهرة لن تستمر، ووصلت بهم المسألة إلى اتهام القارئ بتدهور ذوقه في القراءة، وبدأ الجميع يتتبعه، لكنهم انتبهوا لهؤلاء القادمين، دون أن يعرفوا من أين جاءوا!!



الكتابة الجديدة والدعاة الجدد

1

انشغل الجميع بالهجوم على صعود نجم هؤلاء خاصة في السنوات الأربع الأخيرة التي أعقبت أحداث يناير 2011 متهمين إياهم بتدني مستواهم الأدبي وأن صعودهم ظاهرة سوف تندثر، لكن أحدا لم ينشغل بدراسة هذه الحالة التي خرجت من رحم ثقافي مختلف، أنت تتحدث عن شباب اعتمدوا في تكوين ثقافتهم في المقام الأول على ما سطره نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق، ومع هذا العشق الذي تحقق لأدب الرعب والخيال العلمي كانت قراءاتهم للكتب الأجنبية أيضا في هذا السياق، بالطبع كانت هناك استثناءات من القاعدة، وخرج من رحم هذا الجيل كتاب شباب لهم ثقافتهم وقراءاتهم المتنوعة ولهم إصداراتهم التي تشبه المعتاد، لكن الأصل العام في بقية الكتاب الشباب هو خروجهم من رحم ثقافة مغايرة. وأن كتاباتهم الأدبية مختلفة وأطرت لعالم أدبي جديد. عالم لم يخرج من رحم اليسار الذي سيطر على المشهد الثقافي لسنوات، إنما خرج من رحم الدعاة الجدد وسطوة الصحوة الدينية التي برزت نهاية الثمانينيات.

في العام 2003 قابلت مصادفة بعض أصدقائي على منتدى روايات، في خطبة للداعية الأشهر عمرو خالد، في مسجد المغفرة بمنطقة العجوزة، كان المسجد يمتلئ عن آخره بشباب من جيلي يكبرونني بعام أو يصغرونني بعام لكننا في نفس الفترة العمرية تقريبا، كان عمرو خالد وبقية الدعاة الجدد الذين تلحفوا صورة مختلفة عن الشيخ الداعية مكفهر الوجه، يدفعون الشباب إلى القراءة، لكنهم أيضا كانوا يضعون قواعد لنوعية القراءة. مثال على ذلك ما قاله الداعية الإخواني راغب السرجاني في إحدى خطبه بعنوان "القراءة منهج حياة"، حين تحدث فيها عن أهمية القراءة لنهضة الأمم، ومن ثم وضع مراتب عشرة لنوعية الكتب التي يجب أن يقرأها الشباب، بدأ الشيخ أول مرتبة بالقرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم كتب شرح الحديث فسير الصحابة، وبقية المراتب على نفس الشاكلة، لكن الغريب في المسألة وهو الذي يشغلني هنا، هو أن الداعية وضع الأدب في المرتبة الأخيرة، واعتبرها قراءة ثانوية، هنا أصبحنا أمام جيل من القراء والكتاب تربى على يد هؤلاء الدعاة، جيل يضع قيودا لإبداعه حين يكتب أو يقرأ، جيل قد تصدمه كلمة بذئثة في رواية «من وجهة نظره» أو وصف لعلاقة جنسية بين بطلي رواية، أو رؤية شاطحة عن الله والأديان، نحن هنا لا نتحدث فقط عن مجرد كتابة جديدة في اللغة أو طريقة السرد، لكن نتحدث أيضا عن كاتب له خلفية جديدة في الثقافة والقراءة والاطلاع وحتى المثل الأعلى، فالجيل الذي كان

مثله الأعلى إبداعات نجيب محفوظ وإدريس أصبح مثله الأعلى كتباً للنجيب، كان الهدف الأساسي من خلقها هو أن يقرأها الأطفال في فترة ما من العمر.

المسألة التي تحتم علينا أن نتعامل بجدية مع دولة الأدباء الجدد وأن نتنبه إلى أنه موج قادم سوف يزيع ما أمامه ليؤسس دولته، ربما لم يكتمل هذا الجيل بعد، ربما لم يخرج كل ما لديه من أسلحة في الكتابة، لكنهم يحاربون كي يحجزوا مقعدهم في مقدمة الصورة.

3

تحولات المرحلة مع أواخر التسعينيات أحالت المسألة من مجرد ارتفاع حجم طبع الكتاب الديني إلى تأسيس جيل من الأدباء الشباب يحملون الفكر الأخلاقي بين ظهرانيهم ليخترقوا عالماً رفضوه لسنوات باعتبار الكتابة الأدبية وقراءة القصص والروايات والأشعار من باب العلم الذي لا ينفع.

فمع بدء صناعة النشر بعد دخول المطبعة مع الحملة الفرنسية وتأسيس مطبعة بولاق عام 1822 كانت حصيلة ما نشرته خلال الفترة من 1820 إلى 1894 يقترب من 867 إصداراً، كان لكتب اللغات النصيب الأكبر منها ثم مجال العلوم التطبيقية ثم مجال العلوم الاجتماعية. تغيرت تلك الإحصاءات طبقاً لما أورده كتاب حركة النشر في مصر الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أي في الفترة من 1850 إلى 1899 حيث بلغ عدد

الكتب المطبوعة 9538 احتلت الديانات مركز الصدارة فيها بمجموع 2604 كتب تلتها الآداب بعدد وصل إلى 1647.

ومع ظهور ما عرف بالصحو الإسلامية نهاية الثمانينيات من القرن العشرين تنحت جانبا مبيعات فروع الكتب المختلفة أمام الكتاب الديني، الذي أعاد تشكيل وجدان مواليد الثمانينيات والتسعينيات، وهم أنفسهم الذين صاحبتهم التحولات الأكبر والأخطر في مصر والعالم العربي بعد ثورات الربيع العربي في السنوات الخمس الأخيرة.

وتشكل وجدان هذا الجيل اعتمد في المقام الأول على ظهور الدعاة الجدد الذين كانوا سبيلا لتقديم صورة مختلفة للدعوة الإسلامية بعد موجة الإرهاب التي طالت العالم العربي أوائل التسعينيات واستمرت حتى اليوم، فكان داعية بشكل مختلف لا يلتزم بالمظهر الديني المعروف للدعاة وخطباء المساجد.

4

في تقرير أعده الدكتور زين عبد الهادي رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية السابق بمساعدة بعض الباحثين عن ملامح سوق التأليف والنشر في مصر نشرته مؤسسة الفكر العربي عام 2012 وأعاد الدكتور زين نشره على حلقات بجريدة القاهرة المصرية بداية من العدد 746 تحدث فيه عن نهاية عصر الكتب الدينية في سوق القراءة، مؤكدا أنه رغم تصدر الكتاب الديني سوق النشر في

مصر للسنوات العشر الأخيرة قبل الثورة المصرية فإن، تبعا للحالة الاقتصادية، أغلب هذه الإصدارات هي إعادة نشر لكتب التراث التي سقطت حقوق ملكيتها الفكرية وهنا يترجع عدد العناوين الجديدة من الكتاب الديني وبرز للأمام عدد العناوين في الأدب وفي مجال العلوم الاجتماعية، مضيفا أنه تبعا لذلك يمكن القول بأن أكثر الكتب نشرًا تقع في قطاع العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي تلك التي تضم بين طياتها السياسة والاقتصاد والقانون والتربية والخدمة الاجتماعية.

ويؤكد التقرير الذي أعده الدكتور زين عبد الهادي أن ما أثر خلال السنوات السابقة عن أن المصريين أكثر اهتماما بالدين من السياسة والأدب ليس صحيحا، والحقيقة أن الأرقام المتعلقة بنشر الكتب تقول ذلك، كما أن اتجاهات القراءة للكتاب الشبان تكشف عن ذلك أيضا، حيث إن إنتاج المصريين في مجال العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية معا يمثل رقما ضخما يصل إلى ثلث إنتاجهم بعدد عناوين يصل إلى 33٪ من النسبة المئوية إجمالية لهذا الإنتاج.

التقرير أضاف بعدا مهما أظن أنه الأهم في كل ما سبق، وأنه المحور الذي يجب أن تدور حوله أي دراسة تسعى لتحليل تحولات النشر في السنوات التي أعقبت ثورة يناير 2011، هو إقرار الدراسة أن اتجاهات الشباب نحو التأليف يحكمها نوع من التمرد على الموروث الثقافي، حيث يكاد يحتل الأدب نصف العقل الشاب في مصر، فالرواية والقصة القصيرة تحتل نصف العدد الذي ينتجه الشباب

فيما يحتل الشعر النصف الآخر. وأضاف التقرير أن هناك ممثلين لتيارات دينية جديدة وصاعدة بين الشباب، وأن خطابهم الإعلامي الرقيق والمتسامح والداعي إلى الأمل يجد صدى كبيرا أيضا بين الشباب، وهو ما تشابك مع كتب التنمية البشرية التي وجدت صدى واسعا بين الشباب، إلى الدرجة التي يمكن معها القول بأن الكثير من الشباب الذي يؤلف كتباً في الرواية أصبح يمزج بين القيم الدينية وبين خصائص كتب التنمية البشرية ويخلطها بالرواية، مما خلق جمهوراً كبيراً بين الشباب الذي يجد ضالته في الأنواع الثلاثة.

5

ما حدث في سوق النشر منذ العام 2011 وحتى الآن ليس بعيداً عن تراكمات 40 سنة سبقتها شكلت وجدان الشباب الآن، بين صحوة إسلامية زائفة قادتها جماعات متطرفة وصدرت إنتاجها الفكري على أنه رؤية جديدة للدين في حين أنه إعادة إحياء وطبع لكتب تراثية غير محققة وبدون تجديد أو اجتهاد، ثم التفاف هؤلاء على الشباب تحت مسمى الدعاة الجدد، في الوقت الذي غابت فيه المؤسسة الثقافية الرسمية، أو المستقلة والتي عاشت في دائرة مغلقة عليها دون السماح لأحدهم بالمرور، مما دفع الشباب للتمرد والبحث عن بدائل أخرى، بدائل بعيدة عن الخطاب الديني الزائف، وأيضاً بعيدة عن سيطرة دوائر بعينها على الثقافة وحركة النشر، فالتمرد الذي حدث في العام 2011 مجرد توابع لتمردات فكرية سابقة تبناها هذا الجيل، ربما ليست

تمردات على أسس فكرية سليمة، لكنه اعتمد على المتاح من نتاج فكري ربما كان أكثره مشوها وغير صحيح وحاول بقدر الإمكان وبناء على طبيعته المتمردة الوصول إلى الأصلح.

وسيلة التمرد كانت عبر شبكة الإنترنت، وحسب التقرير الذي أعده الدكتور زين عبد الهادي وبحسب كتاب حركة النشر في مصر، اللذين تناولا حالة النشر في الفترة من 2000 وحتى 2013 كلا بدوره تنامي استخدام الإنترنت في مصر منذ دخولها العام 1991 وارتفع من حوالي مليون مستخدم فقط في العام 2000 ليصل إلى 33 مليونا تقريبا في العام 2013 وفي مايو 2014 وصل العدد إلى 44 مليونا بنسبة زيادة قدرها 33.82٪ وهو ما يعني أن نصف عدد سكان مصر يستخدمون الإنترنت حاليا، فيما وصل مشتركو الإنترنت عبر الهاتف المحمول إلى حوالي 19 مليونا في مايو 2014، وبحسب الإحصاءات التي نشرت في كتاب حركة النشر في مصر فإن تقريراً رسمياً في أغسطس 2008 قال إن هناك 160 ألف مدونة مصرية تمثل 30.7٪ من مدونات العرب بنحو 490 ألف مدونة، ويقدر عدد المدونين المصريين بأكثر من 162.2 ألف مدون غالبيتهم في الفئة العمرية 20-30 سنة. وفي مسح قام به مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري ذكر أن المدونات أقرب إلى اليوميات وأكثر المستخدمين لها شباب. وأكد المسح أن المحتوى السياسي للمدونات 17٪ ثم الكتابات الشخصية 14٪ والثقافية 12٪ والدينية 7٪.

هذه المدونات تحولت إلى كتب مطبوعة بنفس الآلية التي سردها
سلفا، عن طريق جمعيات تعاونية بين الشباب تكفلت بالنشر بعيدا
عن مؤسسات النشر التي شكلت عقبة في طريقهم. أو عن طريق دور
نشر أنشئت خصيصا للشباب مثل: اكتب ودار ليلي والمصري وكيان
ودون، وغيرهم.

* * *

الزومبي يحكم مملكة أدب الرعب

1

استكمالا لحالة الفصام بين دولتي الكتابة في مصر التي تحدثنا عنها في فصل "إمبراطورية الكتاب الأعلى مبيعًا". سيجد القارئ في جولة سريعة على مكتبات بيع الكتب، ركنين مختلفين، أحدهما يحمل كتبًا يغلب عليها نوعية أدب الرعب والكتابة التي تتحدث عن الجن والسحر ومصاصي الدماء، وبداية من عام 2015 انضمت لهذه القائمة كتب السيرة الذاتية، التي عادة ما يكون الإقبال عليه شديدًا، وركنا آخر يضم كتابات الشباب الخارجين من المنظومة الثقافية الكلاسيكية، التي عادة لا يقربها أحد. جرب أن تنظر داخل المكتبات لتأكد بنفسك من هذا التقسيم. لكن زيادة في التأكيد قمنا بطرح سؤال على كتاب الدولة التي لا يعرفها النقاد تضمن استفسارًا عن معرفتهم بأسماء كتاب شباب يمثلون دولة الثقافة الكلاسيكية أو الرسمية، وكانت الردود متوقعة حيث جاء أغلبها بالنفي، وكان الرد في معظمه، "آسف، لا أعرف هذه الأسماء"، وكانت نفس الإجابة التي دائما ما يجيب بها أصحاب الدولة الكلاسيكية حين يسألون عن كتاب الرعب أيضا.

"الزومبي" و"الفمباير"، و"المذئوب"، شخصيات روائية سيطرت على عالم الرواية في جيل الشباب خاصة بعد ثورة يناير 2011.

سلاسل كتب الجيب، "ما وراء الطبيعة"، و"فانتازيا" التي ظل الشباب يعيشون في ظلها لسنوات طويلة أفرزت جيلاً حين أراد أن يكتب لم يجد سوى هذه العوالم التي أسس لها أحمد خالد توفيق في العدد الأول من سلسلة "ما وراء الطبيعة" التي صدرت عن "المؤسسة العربية الحديثة" عام 1993، تحت عنوان "مصاص الدماء وأسطورة الرجل الذئب" والتي كان بطلها رفعت إسماعيل.

2

كاتب الرعب عمرو المنوفي، ولد في العام 1980، وتخرج في كلية التجارة، وفي محاولة لفهم سر الإقبال على هذا النوع من الكتابة يرى المنوفي أن الرعب يلعب على وتر الخوف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة باستخدام تيمات مختلفة، مثل الخوف من المجهول والجن والأشباح، والموتى الأحياء، فطبقاً لرؤية المنوفي فإن كاتب الرعب يقهر مخاوفه على الورق، وهكذا القارئ أيضاً، ربما كان ذلك ترجمة لتطور أدب الرعب بعد يناير 2011، نفس المسألة تم رصدتها في الثلاثينيات في أمريكا بعد فترة الكساد الكبير حيث أقبل الناس على الروايات الخيالية التي تصف الأبطال الخارقين والأحداث الخيالية المروعة. استكمالا لهذه الرؤية يقول المنوفي: "إن الشعوب تبحث عن الخطر المقنن، الذي يمكن إنهاؤه بغلق الكتاب أو الخروج من

السينما، حيث يهربون من واقع مخيف غير متحكم فيه لواقع خيالي تم السيطرة عليه".

ازدهار أدب الرعب بهذه الكثافة بعد الثورة يؤكد أن الكتاب والقراء يهربون لواقع أكثر ألماً يخفف وطأة ما يرونه حقيقة أمامهم كل يوم.

لكن مع ذلك فإن كتابة الرعب وجدت طريقها بين الشباب قبل ثورة يناير، مثل الكاتبة الشابة سالي عادل والتي بدأت النشر على مواقع الإنترنت عام 2009.

سالي عادل، وفي محاولة لتفسير ازدهار أدب الرعب، تقول: "كوننا جيلاً تربى على إصدارات أحمد خالد توفيق، ونبيل فاروق، يجعل من غير المستغرب انتشار الرعب والمغامرة والفانتازيا في كتاباتنا، وكوننا جيل الثورة كذلك، الذي تمكن من كسر حاجز الخوف بداخله وأبهر نفسه والعالم كله، يجعل من غير المستبعد كذلك كتابة الأدب الذي يعالج المخاوف من أجل مواجهتها وليس تزكيتها".

سالي عادل، قال عنها أحمد خالد توفيق إنها: "خليفة سلسلة ما وراء الطبيعة".

وتبرر كتابتها للرعب فتقول: "أدب الرعب هو المجال الذي يشبع مساحات الكتابة لدي، مثل مساحة التجديد حين تتناول فكرة توقن أنه لم يستخدمها أحد قبلك كأن تنفذ حرفياً وصية الأمهات المأثورة ليلة الزفاف "ادبح لها القطة"، أو ما قد يحدث حين تنام على شريط القطار

من أجل أن تتحقق لك الخضة التي تسمح بالخلفة حسب الموروثات الريفية، أو غيرها. ومساحة العمق حين تتمعن في النظر إلى الداخل الشخصية لدرجة أن تكتشف ما يرعبك. ومساحات لانهائية من الخيال والواقع وكلاهما لا ينفصل عن الآخر".

أيضا ممن ظهوروا قبل يناير 2011 ومثلوا رافداً مهماً في كتابة الرعب، الكاتب حسن الجندي الذي أجمع كل كتاب الرعب على أنه أول الشباب الذين وضعوا حيثة لكتابة الرعب في مصر، في وقت كان يتعجب الناس حين يطلب أحدهم وضع كلمة أدب رعب على غلاف الرواية، لكن حسن إلى جانب ذلك فهو صاحب نظرية في كتابة أدب الرعب، فيقول الجندي في إحدى تدويناته على صفحته الشخصية فيس بوك عن أدب الرعب: "استيراد أدب الرعب بالذات لا يصلح، يمكنك أن تستورد أدب الخيال العلمي أو المغامرة، لكن في أدب الرعب ستفشل مع مرور الوقت، لأن الوعي الجمعي العربي يرفض تلك الأنواع، تخيل معي مصاص دماء يعيش في إمبابة واسمه "تامر الشحات"، أو لتخيل معاً سائق الميكروباص "حمامة أبو شينة" يتحول لمذئوب فجراً، تخيل أن يحاول هذا المذئوب عبور شارع جامعة الدول العربية! أو لتخيل معاً الساحرة "أم أسماء الشرنوبي" تمارس سحر الفودو في أول فيصل، لتحبي به جثة "عبد العاطي المكوجي" فيسير هائماً ليخيف المصريين. عقلياً يرفض الوعي العربي تلك الأشياء، ولو قبلها لسنوات فسيثور عليها لأنها طبيعة. العقل العربي يميل لتراثه الثقافي مثلما العقل الغربي يميل لتراثه الثقافي، لذا

على الكاتب أن يحترم العقلية العربية ويقدم الرعب المناسب للبيئة".
الكاتبة منال عبد الحميد من مواليد محافظة سوهاج في العام 1981
والمقيمة في نفس المحافظة تقول: "أكره تصنيف الكاتب وحصره في
زاوية معينة.. ولا أحب أن يصنفني أحد بكاتبة رعب أو خلافه.. لذلك
أكتب كل الأنواع والأجناس الأدبية وأحب أن يدعوني الناس (كاتبة)
فحسب".

منال حاصلة على ليسانس آداب قسم التاريخ وتعمل مدرسة
بالتربية والتعليم.. بداياتها الأدبية كانت كلها من نوعية الأدب
الاجتماعي أو التاريخي، وظلت لسنوات تكتب روايتها الأولى والتي
تجاوزت عدد صفحاتها الألف وحملت اسم "رومن"، وعن طريق
متديات تخصصت في أدب الرعب وجدت الكاتبة طريقها إلى هذا
النوع من الكتابة، وترجمت منال سبب اللجوء إلى كتابة الرعب قائلة:
"أغلب من يكتبون أدب الرعب بحسب معرفتي بهم شديدو الخجل
والمرح وبعيدون تماما عن أية ظروف مرعبة أو مثيرة للهلع، لذلك
أراه نوعا من التعبير عما نفتقده في حياتنا مثله مثل قيادة السيارة
بأقصى سرعة للاستمتاع بالخطر ليس إلا".

في جنوب مصر يوجد أيضا الكاتب الشاب ياسين أحمد سعيد،
الذي يتكبد عناء السفر 14 ساعة تقريبًا كي يحضر إلى القاهرة ليقوم
بكتابه ثم يعود مباشرة بعد الانتهاء، فقط يستمتع بتوقيع كتبه، وحين
تسأل ياسين كيف وجدت السبيل إلى أدب الرعب يقول: "من شبه

المستحيل أن تسأل كاتباً عربياً؛ (على يد من تشربت عشق أدب الرعب)، ويجيبك باسم خلاف الدكتور أحمد خالد توفيق".

ياسين يرفض القول أن كتابة الرعب نوع من الهروب، مؤكداً أن المسألة بالنسبة له العكس تماماً، فيقول: "أعتبر أدب الرعب والفانتازيا نوعاً خاصاً من أنواع المواجهة".

ياسين كان عندما يواجه مشكلة في حياته يصيغها في صورة مجردة فانتازية، ثم يترك رمزية المشكلة هي التي تحركه نحو الحلول عبر موج أحداث القصة. ويقول مؤكداً على ذلك: "طوال حياتي أستعمل هذه الطريقة، وكم ساعدتني في أن أتخطى أزمات عديدة، أو على أقل الفروض، ساعدتني في أن أكتشف آراء ومواقف كنت أخبئها عن نفسي، خوفاً من مواجهتها بها".

ياسين كان يملك سبباً آخر لكتابة الرعب، هو انتمائه لقرية في أقصى جنوب الجنوب (أسوان)، حيث يتجسد انعدام تكافؤ الفرص، فيقول عن ذلك: "أردت أن أختار حلبة تمنح فرصاً عادلة ومتساوية للجميع، فلم أجد أفضل من ميدان الخيال".

حسين السيد حسين، مواليد محافظة القاهرة في العام 1981، درس في كلية الطب جامعة عين شمس وصدرت له عن دارنون روايات، "الجثة الخامسة"، و"الشيخ الأسود"، و"عهود الدم"، و"نجع الموتى"، و"الحاكم بأمر الله"، و"قربان بشري" و"حكايات شتوية"، التي تواجدت في قوائم "البيست سيلر" فور صدورها. يترجم حسين

القفزة التي حدثت في مبيعات أدب الرعب وكتابته قائلاً: "في كلام قديم أن الإحساس المبهم بالخوف من المستقبل اللى اترسب في العقول بعد الثورة سبب من الأسباب الناس خائفة والكلام عن الأشياء الغامضة المخيفة يناسب هواها".

حسين يملك ترجمة أخرى عن سر كتابته للرعب، فيقول: "أنا بعشق الرعب.. شايفه مكان أقدر أحرر فيه من أي قيود سواء منطقية أو غير".

جميع ما سبق يدور في فلك مواجهة الخوف على صفحات الورق، كيف تتمكن من تحريك مشاعر الهلع داخل نفسية القارئ، وربما ترجم حجم المبيعات الكبير أن القارئ أيضاً يهرب إلى واقع أكثر غرابة من الواقع الذي عاشه بعد ثورة يناير 2011، لكن ما حدث مع الكاتب الشاب محمد عصمت ابن محافظة دمياط قلب موازين الظاهرة، حيث صدر للكاتب منذ بضع سنوات رواية رعب كوميدي بعنوان "التعويذة الخاطئة"، استخدم فيها شخصيات الزومبي والفمباير والرجل الذئب والجني في حبك رواية كوميدية، وفي ثلاثة أشهر فقط نفذ من الرواية 9 آلاف نسخة، محققة رقماً لم يتوقعه أحد، لكاتب كان ينظر إليه في ذلك الوقت أنه دخل عالم الكتابة حديثاً، وكل هذا الجيل يقول عصمت: "أحمد خالد توفيق، ونبيل فاروق أعتقد إنهم أكثر اثنين قرأت لهم وبحبهم في حياتي".

ولو دققنا النظر أكثر في تاريخ ظهور محمد عصمت 2012 سنكتشف أننا أمام جيل جديد طبقاً لنظرية المجالية، الذي تسلم الراية

من جيل 2000، كل ذلك ولم ينتبه لهم أحد بعد، وربما تعثر النقاد في نطق أسمائهم.

وفي ظل حالة الفصام حيث نتحدث عن دولتين للكتابة لا يعرف بعضهم بعضاً، يظهر أيضاً إلى جانب أن هناك جيلاً ثانياً ظهر في غفلة من النقاد حقيقة أكثر دهشة، أن هناك من يكتبون الرعب وقد تتلمذوا على يد هذا الجيل الأول، مثل حسن الجندي مثلاً.

محمود خواجه، عندما أجريت معه مقابلة عام 2014 في رحلة تقصي ذلك العالم كان لا يزال طالباً في الصف الثاني الإعدادي، وكانت قد صدرت له رواية منشورة إلكترونياً، أما الآن فقد صدرت له روايتا "اختلال"، و"6".

يقول خواجه عن بؤادر دخوله عالم الكتابة: "قبل أن أكتب قرأت رواية اسمها "نصف ميت" للعظيم "حسن الجندي"، مروراً بـ "الجزار"، ومخطوطة ابن إسحاق وكذلك أبي الروحي "أحمد خالد توفيق" الذي كنت أريد قبل وفاته أن أحادثه ولو لمرة واحدة في عمري، أريد أن أشكره على سلسلة "ما وراء الطبيعة" التي كانت هي شجرة عشقي لأدب الرعب".

محمد البعلي مدير صفصافة للثقافة والنشر تحدث عن أدب الرعب ومدى قابلية موافقته على نشر هذه النوعية من الكتابة قائلاً: "لا يمكن الحكم على تيار بأكمله في الكتابة بأنه أدب أو لا؛ حيث

يجب تقييم كل عمل على حدة وتقدير مستواه الفني واللغوي ومدى أصالة الخيال".

البعلي يرى أن انتشار الروايات الخفيفة، مثل روايات الرعب والجريمة، وظهور كتب تتحدث عن العفاريت والأشباح في قمة قوائم المبيعات يشير إلى وجهة أخرى؛ وهي أن نسبة لا بأس بها من القراء تعتبر الكتب محاولة للهروب من الواقع إلى عالم خيالي منبت الصلة بمشاكل العالم وقضايا الملحة، وبالتالي فإن هذه الكتب تعد تعبيراً عن رغبة عدد كبير من القراء في "عدم اتخاذ" موقف من العالم والتعامل مع القراءة على أنها مشروع قصير الأجل للتسلية والانفصال عن الواقع.

وأكد البعلي في نهاية حديثه أن صفصافة لا تنشر هذا النوع من الأعمال لاعتقادها أنه يساعد على تغييب القراء. موضحاً أن هدف دور النشر التقدمية هو المساهمة في تنوير العقول وليس تغييبها.

* * *

مؤلفو روايات الخيال العلمي خارج فانتازيا النقد

1

يشارك أدب الخيال العلمي والفانتازيا مع أدب الرعب في نفس القدر من اهتمام الكتاب والقراء في الدولة التي لا يعرفها النقد. والأغرب أن كتاب هذا الأدب، نجحوا في جذب شريحة من القراء لم تكن ذات صلة بسوق القراءة من قبل كما لم تكن على معرفة بماضي هذه الكتابة في مصر من خلال نماذج الراحل نهاد شريف، لكن ما أدب الخيال العلمي؟ هذا السؤال أحد الأسئلة التي انطلقنا منها:

في كتابه "الخيال - من الكهف إلى الواقع الافتراضي" العدد 360 من سلسلة "عالم المعرفة" الصادرة عن "المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت" للدكتور شاكر عبد الحميد، أستاذ علم نفس الإبداع ووزير الثقافة الأسبق، تحدث في الفصل السادس عن الخيال العلمي قائلاً: "الخيال العلمي نوع واسع شامل من الإبداع يشتمل غالباً على التأمل الذي يقوم على أساس العلم والتكنولوجيا الحالية أو المستقبلية. ونجد أمثلة للخيال العلمي في كتب الأدب وأعمال الفن التشكيلي والتلفزيون والسينما وألعاب الفيديو الحديثة والمسرح وغير ذلك من أشكال الميديا، ويشتمل الخيال العلمي على

تلك الأعمال التي تدمج بين العناصر الخيالية الموجودة في الواقع المعاصر والتي تتضمن أيضًا: الفانتازيا والرعب وما يرتبط بهما.

يختلف الخيال العلمي عن الفانتازيا داخل سياق القصة نفسها الموجودة في كل منهما، فالعناصر المتخيلة في الخيال العلمي تكون ممكنة فقط في سياق قوانين الطبيعة المفترضة علميًا أو التي تقوم على أساس العلم، وبينما لا تلتزم الفانتازيا بهذه القوانين لأنها متحررة إلى حد كبير من قوانين الزمان والمكان والسببية والمنطق العلمي".

وفي حوار سابق للراحل أحمد خالد توفيق لجريدة القاهرة تحدث عن رفضه لما أسماه هوجة كتاب أدب الرعب وأعرب عن اندهاشه لماذا لا يوجد كتابة خيال علمي بالمعنى الحقيقي، وهي أفضل من وجهة نظره لسبر أغوار النفس الإنسانية، وأضاف توفيق في نفس السياق أن ما يوجد من كتب خيال علمي يندرج تحت بند واحد فقط من بنود كثيرة قد يكتب الخيال العلمي في إطارها والمسمى "الأوبرا الفضائية Space Opera" والتي عرّفها الدكتور شاكر عبد الحميد في فصل الخيال العلمي من نفس المصدر السابق قائلا: "وغالبًا ما تكون الأعمال هنا تشتمل على مغامرات رومانتيكية أو ميلودرامية تمزج بين البهجة والأسى والمفارقة تدور في الفضاء الخارجي وتشتمل على صراع بين خصمين أو عدوين يمتلكان قدرات وتكنولوجيا عالية. هنا تكون مواقع الأحداث والشخصيات والمعارك والقوى والموضوعات الرئيسية المتكررة ذات أطر واسعة".

الكاتب محمد عبدالرازق، روائي، يعمل بمجال تدريس الكيمياء، صدرت له عدة روايات في أدب الرعب والخيال العلمي، منها، رواية "أغلال"، و"الشيطان" و"تربة الزعفران" و"كلاكيث" و"انتقام قلب" و"الشبح".

يقول عبد الرازق إن أدب الخيال العلمي يختلف عن غيره من ألوان الأدب المختلفة، مفسراً ذلك أن المؤلف يخلق عالماً خيالياً أو كوناً ذا طبيعة جديدة، بالاستعانة بتقنيات أدبية متضمنة فرضيات أو استخدام لنظريات علمية فيزيائية أو بيولوجية أو تكنولوجية أو حتى فلسفية. من الممكن أن يتخيل المؤلف نتائج هذه الظواهر أو النظريات محاولاً اكتشاف ما ستؤول إليه الحياة، ومتطرقاً إلى مواضيع فلسفية أحياناً، وقد تناول موضوع القيم في عالم جديد مختلف.

ويؤكد أن ما يميز أدب الخيال العلمي أنه يبقى متسقاً مع النظريات العلمية والقوانين الطبيعية دون الاستعانة بقوى سحرية أو فوق طبيعية مما يجعله متميزاً عن الفانتازيا.

ويضيف أنه في مصر والوطن العربي هناك رائد الخيال العلمي الأستاذ نهاد شريف، حيث كانت أولى رواياته هي رواية "قاهر الزمن" التي تحولت إلى فيلم سينمائي.

الروائي شريف ثابت صاحب روايات "أنين"، و"الميلاد"، و"نور العباسي"، و"القيامة"، و"البعث"، و"عالم أفضل"، الصادرة جميعها

عن دار "كيان"، قال إن اهتمامه بالخيال العلمي بدأ مع سلسلة ملف المستقبل للدكتور نبيل فاروق، وبعض كتابات الدكتور أحمد خالد توفيق في سلسلة سافاري. مؤكداً أن الدكتور خالد توفيق له إيدٍ بيضاء باضطراره بالترجمة لأساطين الخيال العلمي الجاد كأزيموف وهينلاين وبرادبوري في سلسلة روايات عالمية للجيب.

وأضاف أن الخيال العلمي يفتح المجال أمام الكاتب لطرح رؤاه الإنسانية والاجتماعية والسياسية، بما يتيح من شطحات فانتازية تملك بطبيعتها أسباب الجاذبية، والتحرر من القوالب التقليدية، وتقديم تصور لنتيجة تشابك العلاقات المختلفة وتطور التكنولوجيا على أوجها لحياة الإنسانية.

ووضح أن رواية «أنين» حاولت تناول الهموم السياسية والمؤسسة لثقافة ما قبل يناير 2011 في إطار من الخيال العلمي.

وأشار إلى أن كاتب الخيال العلمي ينظر دومًا للمستقبل، المسألة التي تستلزم منه ثقافة موسوعية، غير مقتصرة على العلوم فحسب. مؤكداً أن الكاتب يجب أن يكون مطلعًا على الجديد في الفيزياء والكيمياء والأحياء بطبيعة الحال، وأن يكون قارئًا متمرسًا للتاريخ والفلسفة وعلم النفس والاجتماع، والأهم: يملك القدرة على هضم قراءاته وخبراته ومد خيوطها لصياغة رؤية متكاملة لمستقبل البشرية.

الكاتب أحمد محمد فريد، من مدينة المنصورة، تحدث عن بدايات دخوله عالم كتابة أدب الخيال العلمي، مؤكداً أن العلم هو

بوابة دخوله للأدب. ومفسراً أن البداية كانت في عام 2007، حيث كان يكتب سلسلة من المقالات العلمية لمتدى روايات، عن نظرية الكم ونظرية النسبية وغيرها.

وأضاف أنه حين أراد كتابة دراسة مُختصرة عن نظرية الانفجار العظيم، قرر كتابتها بصيغة مختلفة عن أي دراسة سابقة. لذلك قرر كتابة الدراسة في صورة قصة من الخيال العلمي. لافتاً إلى أنه بالفعل نشرت القصة في متدى روايات والتي سماها "الانفجار العظيم" والتي تحكي كيفية بداية الكون، وقد لاقت بعض الاستحسان رغم تعقيد فكرتها وصياغتها. مشيراً إلى أنه منذ ذلك الوقت راقته فكرة أن يستمر في تقديم ذلك الصنف من الأدب.

أحمد محمد فريد نشر بعد ذلك رواية سلسلة في عام 2008 بعنوان "النيزك". ويقول إنه في صغره تربي على قصص نبيل فاروق وخاصة سلسلته "ملف المستقبل" وسلسلة كوكتيل 2000، ثم قصص أحمد خالد توفيق، مؤكداً أنه بعد ذلك صقل قراءاته بالعديد من رواد الأدب مثل نجيب محفوظ، وبهاء طاهر، وعز الدين شكري، ومحمد المخزنجي، لافتاً إلى أنه على مستوى الأدب الغربي تأثر بكتابات سيفن كينج وفيليب ك. ديك، وويليام جيبسون، وتيد شيانج، وإزاك أزيمواف وكذلك تشاك بولانيك.

ويستكمل فريد حديثه عن أدب الخيال العلمي قائلاً إن حبه لهذا النوع من الأدب وثيق الصلة بشخصيته، حيث إنه مُحب للعلم، بالإضافة لعشقه للخيال.

فريد يعمل على إدخال نوع يُعد غريبًا على الأدب العربي هو الخيال العلمي الاجتماعي «Soft Sci-fi»، الذي يناقش في الأسرار أثر التقنيات المختلفة على الإنسانية فردًا ومجتمعًا. وكذلك تدرج بعض كتاباته تحت عنوان «Slipstream fiction» التي تمزج الخيال العلمي بالفانتازيا بالأدب الاجتماعي. وقد كتب في هذا المجال ثلاث مجموعات قصصية نالت بعض قصصها جوائز، مثل قصة "وثنية" التي نالت جائزة نبيل فاروق لأدب الخيال العلمي. وكذلك رواية "اللوح الأخير".

الكاتبة فاطمة علي ماضي كتبت أدب الرعب في رواية مشتركة مع الكاتب مصطفى جميل بعنوان "لعنات الموتى"، وكتبت أدب الخيال العلمي في رواية بعنوان "شيفرة من العالم الآخر" والصادرة عن دار «نون»، أي أنها سلكت الدربين الرئيسيين اللذين كان يدور فيهما فلك القراءة والكتابة في مصر عامي 2014 و2015.

بدأت ماضي حديثها بعبارة "الكتابة حياة"، مؤكدة أن الكتابة في العام متنفسها، مشيرة إلى أنها تخرج من قيودها لتسبح وعقلها في سماء لا محدودة الأقطار، لافتة إلى أنها تفكر في أي فكرة حرمت عليها، متحركة في مسافات غير مسموح لها بأن تزورها.

وتقول إن بدايتها الحقيقية في القراءة كانت مع الدكتور مصطفى محمود، موضحة أنها كانت تتابع حلقات برنامجهِ عندما كانت تذاغ حلقاته على القناة الأولى المصرية يوم الاثنين من كل أسبوع، منتقلة

بالتدريج لقراءة كتبه، مستخلصة من عمل مصطفى محمود أن الأشياء ليست كما تبدو لنا، وأن عيوننا ليست مرآة حقيقية للواقع الذي نظن أننا نعيشه.

وتؤكد أنها في مرحلة التعليم الإعدادي في الثانية عشرة من عمرها كتبت قصة تحكي عن رجل يركب مركبة فضائية ويرحل عن دنيانا، منوهة إلى أنه ربما كان حلما أرادت تحقيقه فظهر على الأوراق.

وتضيف أنها أثناء دراستها في كلية الزراعة، كتبت حلقات ساخرة وضعت في مجلة قسم الكيمياء الحيوية بعنوان "يوميات متفائل"، ودارت أحداثها عن شاب متفائل رغم كل الكوارث والمواقف الصعبة التي يمر بها في إطار كوميدي يسخر من آلام الواقع. وتحدثت عن أنها قرأت لتوفيق الحكيم وطه حسين ونجيب محفوظ، محطمة بذلك دعوى أن كل هذا الجيل من الكتاب يجب أن يقرأ أولا أحمد خالد توفيق ونبيل فاروق، فهي لم تقرأ أو تتلمذ على أيديهما. طارحة ضرورة إعادة النظر لهذه المسألة. مشيرة إلى أنها قرأت أيضا لأنطون تشيخوف وأجاثا كريستي وموباسان وغيرهم من الأدب العالمي.

ورواية "شفرة من العالم الآخر" للكاتبة التي صدرت في العام 2013 تحكي عن رجل ينتقل بين عالمين، ويرى أبعادا أخرى لا يراها في عالمنا، ويعاني ويتعلم الكثير أثناء ضياعه في رحلته. لكن الكاتبة قررت ترك هذا الدرب من كتابة الرعب والخيال العلمي لتطرح في معرض الكتاب القادم رواية تناقش الآثار النفسية السلبية على المرأة

نتيجة كبت مشاعرهما وأنوثتها وطبيعتها منذ الصغر. وربما كان تحول فاطمة ماضي عن ركب هذه الكتابة المسيطرة على الساحة إلى جانب كتاب آخرين أعربوا عن رغبتهم هم أيضا في كتابة رواية بعيدة عن الرعب والخيال العلمي يطرحون سؤالاً أيضاً عن استمرارية هذه الموجة من كتابة الرعب والخيال العلمي والفانتازيا من عدمه.

الكاتبة ندى طلال إبراهيم كتبت روايتها الأولى في عمر الحادية عشرة لكنها لازالت حبيسة الأدراج لدى أحد الناشرين الذي وقع عقدها ولم ينشرها حتى الآن، لكنها نشرت في أوائل عام 2014 رواية "ماريمو"، وكانت في الثامنة عشرة من عمرها وقت نشر الرواية. وتقدم بها الناشر للمنافسة على الجائزة العالمية للرواية العربية «بوكر»، لكنها تكتب أدب الفانتازيا وهو نوع أدبي يعتمد على السحر وغيره من الأشياء الخارقة للطبيعة كعنصر أساسي للحبكة الروائية، والفكرة الرئيسية، وأحياناً للإطار.

تحكي ندى عن نفسها أنها بدأت القراءة قبل أن تعرف كيف تكتب، مشيرة إلى أن والدتها اعتادت أن تشتري لها القصص من سن 3 سنوات، ثم عندما وصلت للسادسة أصبحت عادة أن تشتري المجلات بمصروفها الشخصي، مؤكدة أنها قرأت أول رواية وهي بالتاسعة وكانت رواية "غراميات راسبوتين"، مشيرة إلى أنها منذ تلك اللحظة وقعت في حب المترجمات، مضيفة أنها قرأت "هاري بوتر" وهي في الصف الرابع الابتدائي.

تستكمل ندى قائلة إنها اعتادت أن تقرأ الرواية ثم تختلق من بين
الثنايا رواية أخرى لا تمت لها بصلة، معتقدة أن هذه اللحظة هي التي
ارتبطت على أثرها جدياً مع أدب الفانتازيا. لافتة إلى أنها ترى أنها
تنقصها الحرفية في الكتابة، لكنها تؤكد أنها رغم ذلك قادرة على
اكتساب ذلك مع الوقت.

ندى لم تقرأ للدكتور أحمد خالد توفيق ولا تعرف عالمه ولم
تخرج من عباءته، فهي إلى جانب الكاتبة فاطمة علي ماضي شكّلنا
استثناءً على هذه الدولة التي تدين في أغلبها بالفضل إلى الدكتور
أحمد خالد توفيق.

3

الدكتور شاكر عبد الحميد أستاذ علم نفس الإبداع وعميد المعهد
العالي للنقد الفني سابقاً ووزير الثقافة الأسبق ينفي ما تحدث عنه
الشباب من عدم اهتمام النقاد بعوالمهم في الكتابة، مؤكداً أن الشباب
هم المقصرون في عدم مد جسور تواصل مع النقاد، ووضح أنه
صدرت له كتب تناولت هذه النوعية من الكتابات على مستوى الكتابة
والسينما أيضاً في كتابه "الغرابية - المفهوم وتجلياته في الأدب"
الصادر عن سلسلة عالم المعرفة العدد 384، يناير 2012. وكتابه
"الخيال - من الكهف إلى الواقع الافتراضي" العدد 360 من سلسلة
عالم المعرفة والصادرين عن "المجلس الوطني للثقافة والفنون
والآداب - الكويت".

أستاذ علم نفس الإبداع قال إننا لو فسرنا حالة الإقبال الشديد على أدب الرعب والخيال العلمي والفانتازيا على مستوى القراءة والكتابة بالمعنى السيכולوجي فمن الممكن أن نقول إن هذا النوع من الأدب يعد من أساليب المواجهة للخوف ابتكرها الإنسان من خلال الخوف المتخيل الذي يواجه به الخوف الحقيقي. موضحًا أن هذه آلية تسمى الإشباع البديل، فأنت تواجه هنا خوفًا يتعلق بأحداث وكوارث ودمار يحدث للآخرين وليس للقارئ أو الكاتب، مؤكدًا أن الكاتب هنا آمن ومستمتع بالتخيل بأحداث تقع على مسافة منه.

ويضيف على مستوى ثان، أن هذا نوع من الأدب الخيالي المرتبط بعوالم يضعها داخلنا حب الاستطلاع أو الفضول المعرفي أو التشويق، أو نوع من الأدب يوحي أن ما سرده أمر واقعي لكي يتقدم تدريجيا كي يسهل هذا الإيهام أو يتجاوزه.

ويستكمل تفسيره السيכולوجي على مستوى ثالث بعرض نظرية "روزماري جاكسون" التي تقول إن هذا النوع من الأدب يساعد على الدخول إلى تلك العوالم الغريبة الموجودة خلف مرآة الواقع، موضحًا أنه تجسيد لفضاءات موجودة خلف المرئي، خلف الصورة ومن ثم يضعنا في مناطق مظلمة فيها التباس من خلالها ممكن أن يظهر أي شيء غير متوقع.

ويوضح أن هذه الأنواع من الكتابة متداخلة، لافتًا إلى أن زيادة الإقبال على هذا النوع من الكتابة بعد الثورة ربما عاد إلى أن الشباب

يبحثون لديهم عن شكل جديد في التعبير عن ذواتهم التي تعاني حالة عدم الاستقرار التي يواجهها الواقع في المراحل الانتقالية، والتي يمر فيها الإنسان بحالة من الالتباس، مشيرًا إلى أنها محاولة للبحث عن يقين حالي يساعد على مواجهة اللايقين الموجود الآن، ويساعد على التعبير عن الذات وتحقيقها والتعبير عن إحساسات مركبة، نوع من المحاولة لمواجهة الواقع المضطرب.

* * *

دولة كتاب الظل

1

في سنوات الطفولة شاهدت مسلسلا تلفزيونيا للفنان أحمد بدير كان يؤدي من خلاله شخصية كاتب مغمور سطر كتابا وأراد أن يذهب به إلى المطبعة، لكنه لم يجد الاهتمام المطلوب، حتى إذا اتهم زورا بقتل أحدهم، وأصبحت الصحف تتهافت على أخباره، فوجئ بعروض النشر تتكالب عليه، وعروض أخرى لتحويل قصة حياته إلى فيلم سينمائي. نفس الآلية هي المسيطرة الآن.. حيث تتهافت بعض دور النشر على نوعية معينة من الأدب وأصبح الكاتب يقف متلهفا لأي الكتب التي ينتظرها القارئ حتى ينقش آخر على شاكلتها، على عكس المفترض أن يكتب الذي يراه الأصلح أو الذي يضرب عقله ويسيطر على تفكيره.

لكن وسط هذا الزحام احتفظ مجموعة من الكتاب الشباب بحبهم للكتابة الحقيقية، لكنهم لا ينتمون إلى دولة القارئ بمقاييسها الركيكة، ولا هم يكتبون الرعب أو الخيال العلمي، وفي نفس الآن يحسبون على هذه الدولة، فيحصلون على تجاهل النقاد في دولتهم، ليؤسسوا

إمبراطورية خاصة بهم، في انتظار بارقة أمل، أن ينتبه لهم الناقد، رغم أن أغلبهم قد حصل على جوائز عربية ومصرية مهمة، مثل الكاتب أحمد القرملاوي، وجائزة الشيخ زايد للأدب فرع الكاتب الشاب دورة عام 2018، والكاتب أحمد عبد المجيد الذي ترشح لنفس الجائزة عام 2013، ووصل إلى قائمتها الطويلة، والكاتب خالد أحمد الحاصل على جائزة ساويرس للكاتب الشاب فرع الرواية، وقد ترشح هو أيضا لجائزة الشيخ زايد للكتاب فرع الكاتب الشاب في قائمتها القصيرة، وغيرهم كثير، وآثرت أن أسميها، إمبراطورية الظل.

2

أحمد عبد المجيد، روائي وقاص مصري، من مواليد 1980 بمحافظة سوهاج، درس علوم الحاسب في كلية الحاسبات والمعلومات جامعة القاهرة، وتخرج فيها سنة 2002. صدرت روايته الأولى "ترنيمه سلام" في 2013، عن دار "ن" للنشر والتوزيع، التي وصلت للقائمة الطويلة في جائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها الثامنة فرع المؤلف الشاب، وصدرت له أيضا روايتا "عشق"، و"التابع".

يحكي عبد المجيد أنه في إحدى حفلات التوقيع عام 2014 استوقفه صحفي ليسأله: ما رأيك في قرارات وزير الثقافة الأخيرة؟ ففاجأه حين قال: "أنا لا أعرف من هو وزير الثقافة الحالي حتى أعرف ماهي قراراته الأخيرة!"، فسأله الصحفي في دهشة قائلا: "لكنها الوزارة التي تتبعها!".

فرد الكاتب قائلا: "لست على اتصال بوزارة الثقافة، ولم أستطع منها شيئا وهم لا يعرفونني".

يستكمل عبد المجيد حكيته أن روايته لأوى 'ترنمة سلام' ترشحت في القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد في الحزف لكتاب، التي تعتبر أكبر جائزة أدبية في الوطن العربي، مضيف أنه كان واحد ضمن ثلاثة مصريين، لكنه رغم ذلك يعبر عن ثقته أن أحد في وزارة الثقافة أو حتى اتحاد الكتاب لم يتبته للأمر.

ويشير في هذه المسألة إلى دور الناقد في أن يتبني حضور على الأعمال الجديدة المهمة ويتبنى الكتاب شباب حواريين ويقدمهم للعالم ويوجه إبداعهم ويلتفت لظرفهم، هم والقراء، إلى مؤثر الضعف والقوة لديهم. مستغربا كيف أن نقاد عدو يقومون بهذا الدور الآن.

ويقول إن روايته "ترنمة سلام" التي وصلت لقائمة قصيرة في جائزة الشيخ زايد وقراها آلاف القراء وأرسلوا آراءهم، لم يتبته أحد ناقد واحد ليكتب عنها.

ويوضح أنه ينتمي لجيل يتيم صنع نفسه بنفسه، لم يهتم به أحد ولم يلتفت إليه أحد، خرج من عباءة كتابه المفضلين فلم يجد من يوجهه أو يرشده أو يأخذ بيده. لافتا إلى أنه حتى وإن انتبه النقاد إليهم فسيكون ذلك على سبيل الهجوم لأنهم لم يخرجوا من عباءتهم ولم يعتمدوا على أيديهم. مختتما كلماته أنهم بالنسبة للنقاد نبت شيطاني، ظهر فجأة في غفلة من الزمن!

شيرين سامي خريجة كلية الصيدلة جامعة القاهرة، كاتبة وصاحبة مدونة "حدوتة مصرية" ومدونة "ذات مرّة"، صدرت لها مجموعة قصصية باسم "كتاب بنكهة مصر" عام 2012 لدار ليلي كيان كورب، وصدرت روايتها الأولى باسم «قيد الفراشة» عن دار نون في العام 2014، وصدرت لها عن الدار المصرية اللبنانية رواية "حنّة"، "ومن ذاق عرف".

تحكي شيرين أنها أثناء تجوالها على المكتبات تعثرت كثيرًا بروايات الجيب مع صديقاتها لكنها لسبب تجهله لم تفتح هذه الكتب شهيتها للقراءة، مستكملة أنها بعد أن قرأت ثلاثية نجيب محفوظ جذبتها لتقرأ معظم رواياته ثم قرأت إحسان عبد القدوس فيوسف السباعي وغيرهم من نفس الجيل.

وتشير إلى أنها تأثرت أكثر بنجيب محفوظ وتعلمت منه كيف تقرأ، وتعلمت السرد والتفاصيل وخلق شخص وطقوس وعوالم خيالية، لافتة إلى أنها مرت بصدفة رائقة حين درست رواية "زقاق المدق" باللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الثانوي لتعرف قيمة الكاتب الكبير في الغرب ولتزداد شغفًا به ليصبح عرابها.

وتستكمل أنه لأن لكل مَنّا رواية يريد أن يحكيها، وأفكارا يريد أن يشرها وينشرها فقد بدأت في كتابة روايتها الأولى، وتم نشرها مع دار «ن» في يناير 2014، معبرة عن نجاح محدود بالنسبة للجانب الآخر من الكتابات عن الرُعب والخيال العلمي، لكنها تؤكد مع ذلك أنها

ما زالت تشعر بتفرد روايتها التي تحكي عن تجربة حياتية مُلهمة لامرأة
عصرية مُحاطة بالقيود، ووقع الرواية على من قرأها طيب.

وتسأل، أين رأي النقاد؟ مكتشفة أنهم كجيل يحمل عبء نفسه
كاملاً، يدعم بعضه، يُقدّم بعضه، يُناقش بعضه، يستخدم الالايك
والشير والكومنت ليسانع بعضه في الانتشار، وينقد نفسه.

وأدركت أن للأدب في مصر شاطئين: شاطيء للمثقفين المُترفعين
المنغلقين على أنفسهم، وشاطيء لكتاب الرعب والخيال العلمي
والأكثر مبيعاً، مستشعرة أنها عالقة بين شاطئين.

محمد صلاح زكريا الذي فازت روايته "سيد مُسافر" في المسابقة
المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة بالمركز الثالث على مستوى
الجمهورية، والصادرة عن "الدار المصرية اللبنانية"، وفاز بالمركز
الخامس عن مجموعته القصصية "بسمة على شفاه الموت"، في
مسابقة المواهب الأدبية لعام 2013 دورة الروائي محمد البساطي.
قال إن الأدب الهادف والعجاذ المنسجم مع العصر يفرض نفسه على
الواقع مع إقبال القراء وتركه أثراً طيباً مع متعة فنية يتركها العمل الأدبي
في نفس القارئ. معرباً عن دهشته أن كثيراً من تلك الأعمال لا يلتفت
إليه النقاد إما تقصيراً منهم أو وجود نظرة استعلائية لديهم في رفض
كل ما هو جديد أو لقي رواجاً وصدى طيباً بين القراء.

ويؤكد أن الإشكالية تكمن في أن الكاتب لا يجد ناقداً متخصصاً
يكتب عنه ويقيم عمله ويوجهه نحو التطوير للأفضل في أعماله المقبلة

يبقى الكاتب حائرًا لا يعرف هل كتاباته متدفقة ومنسابة في مسارها الصحيح وهل يحتاج لتطوير نفسه فلا يجد سوى أن يهتم ويركز في أرقام التوزيع وزيادة الطبعات من أجل الترويج لنفسه وعمل دعاية بعيدًا عن دولة النقاد القابعة في برجها العاجي التي تكتفي بالتجاهل أو الاستنكار وتتعالى أن تنزل إلى الساحة تفرز الجيد من الرديء وتشيد بالتميز وتصحح للآخرين.

أحمد القرملاوي، كاتب ومهندس معماري مصري، من مواليد القاهرة عام 1978، تخرج في كلية هندسة التشييد في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وحصل على درجة الماجستير من جامعة إدنبرا، اسكتلندا، يكتب الرواية والقصة والشعر، وصدرت له المجموعة القصصية "أول عباس" في يناير 2013. وصدرت له عن الدار المصرية اللبنانية روايات "التدوينة الأخيرة"، و"دستينو" و"أمطار صيفية"، الحاصلة على جائزة الشيخ زايد للكتاب فرع المؤلف الشاب، و"نداء أخير للركاب".

يبدأ القرملاوي حديثه قائلاً: طالما أسسنا لدولتين على هذا النحو، فإنه لا يرى نفسه إلا من سكان منطقة حدودية، لم يتحدد مصيرها بعد، موضعاً أنه من حيث الإبداع يشعر بانتماء أصيل لدولة كبار تغافلت طويلاً عن مواطنيها الشباب، في حين تحفل به دولة تحفظ في التعاطي مع الأدب الجاد وتخشاه أحياناً.

يحكي القرملاوي أنه في أولى خطوات تحديد هويته سعى إلى دولة الكبار، متمثلة في دار نشر من أكبر الدور وأعرقها بمجموعته القصصية "أول عباس"، فوجد استقبالا فاتراً لم يمنحه فرصة قراءة

عمله وإبداء الرأي فيه، فعاد أدراجه إلى دولة الشباب، التي رحبت به طالما سيتكفل بتكلفة النشر من حسابه الخاص، مستكملاً حديثه أن المجموعة مرت دون أن يلتفت إليها أحد لغياب الاهتمام من رعايا الدولتين. ومشيراً إلى أنه في هذه الأثناء، تقدّم بأولى رواياته "التدوينة الأخيرة" إلى دولة الشباب التي آوته - في شخص ناشره الأول - فإذا بها تحفظ في نشرها بزعم عدم ملاءمتها لذوق قراء دولة الشباب، ليفاجأ بعدم ترحيب في دولته الجديدة أيضاً.

ويروي القرملاوي بقية الرحلة قائلًا إن الأديب والناقد الكبير علاء الديب وقعت مجموعته الأولى "أول عباس" بين يديه عن طريق الصدفة، وإذا به يتناولها في مقال طويل في جريدة الأهرام اليومية، لافتاً إلى أنه بعد ذلك المقال ذهب إلى دولة الكبار من جديد، واستقبلت الدار المصرية اللبنانية روايته بحفاوة كبيرة هذه المرة.

ويشير إلى أن الأمور لا تستقيم على هذا النحو؛ مفسراً ذلك أن ليس على الموهوب أن ينتظر مصادفة تدفع به إلى دائرة الضوء، وليس لدولة الكبار أن تستند لافتراضات مبنية على التعميم المُخل، وكذلك لا يجدر بدولة الشباب أن تنتهج نهجاً انتقائياً فجاً لا يفسح المجال إلا لأنواع استهلاكية مُسلية من الكتابة، بافتراض أن ذائقة مواطنيها تنحصر في تلك الدائرة الضيقة دون غيرها، وهو افتراض مُخل أيضاً. الأجدر بالجميع أن يتلمس حدود الآخر، ولا يغلق الأبواب في التعامل معه.



ظاهرة إبداع المنتقبات في مصر

جلست الروائية المنتقبة ياسمين حسن توقع روايتها "ماريا" للحضور في الندوة التي نظمتها بمنطقة وسط البلد في القاهرة، وأثناء الحفل انتشرت صورة للروائية المنتقبة وهي تقرأ فقرات من روايتها للحضور على صفحات التواصل الاجتماعي وثار جدل بين مؤيد ومعارض لفكرة إبداع المنتقبات. مظهر الروائية المنتقبة قبل 2011 شوهد فقط مع تجربة الكاتبة فدوى حسن بروايتها الأولى "فدوى" عام 2008. اليوم تجاوز عدد الكاتبات المنتقبات 10 كاتبات أصدرن في الأعوام الثلاثة الأخيرة 26 عملاً بين الرواية والقصة والشعر العامي، أغلبها أعمال تتحدث عن الصلاة أو فضل النقاب واللحية من خلال حكاية أو قصة أو قصيدة، "المنتقبة الحسنة"، و"الرجل ذو اللحية السوداء"، و"حبيبي داعشي"، و"قالت لي" و"شاهدت زوجي في الأتوبيس" و"من وراء حجاب" و"مشاعر خارج النص" وأعمال أخرى متنوعة للكاتبات المنتقبات: دعاء عبد الرحمن، ومنى سلامة، وياسمين حسن، وحنان لاشين، وشاهدة الزيات، وشيماء عفيفي، وفاطمة الزهراء فتحي، وروان صادق، وريهام رجب الشاذلي، وأسماء أبو العطا.

ظاهرة الكاتبات المنتقبات أو "الأدب ذو الطابع الديني" - كما يصفه القراء على صفحات القراءة بمواقع السوشيال ميديا- التي انتشرت في مصر بعد ثورة يناير تنضم لظواهر أخرى سيطرت على حركة النشر والقراءة في مصر بعد عام 2010 إلى جانب ظاهرة أدب الرعب وأدب الخيال العلمي وظواهر الكتب الأعلى مبيعا والتي لم تحظ بعد بالتناول والتحليل النقدي الكافي لفهم أبعادها، والتي نحاول استيضاحها.

اكتشفت زوجي في الأتوبيس:

دعاء عبد الرحمن كاتبة مصرية من مواليد الجيزة، حاصلة على بكالوريوس إدارة أعمال ودبلومة من المعهد العالي للدراسات الإسلامية، نشرت أول أعمالها الروائية على موقع الإنترنت وحقق تفاعلا كبيرا مما دفع مزوري الكتب في مصر لطبع الرواية في كتاب ورقي دون الرجوع لمؤلفته، وتصدرت صورة كاريكاتورية لامرأة سافرة غلاف الكتاب، المسألة التي اضطرت المؤلفة لنشر نسخة شرعية من الرواية وتغيير صورة الغلاف، لكن هذا الاضطراب أصبح واقعا ملموسا بعد أن نشرت خمس روايات أخرى خلال السنوات الثلاث الأخيرة. لتجاوز روايتها "وقالت لي" الصادرة عام 2016 ست وعشرين طبعة حتى الآن.

دعاء عبد الرحمن تقول عن تجربتها مع الكتابة: "رغبتي في الكتابة متواجدة منذ الصغر على شكل يوميات وخواطر بسيطة لكن لم

أحاول عرض ما أكتبه إلا في 2011 على أحد المنتديات النسائية، ولم تواجهني في ذلك الوقت صعوبات تُذكر بسبب النقاب".

دعاء عبد الرحمن تشير إلى أنها كانت مُدمنة على أعمال عبد الوهاب مطاوع وصفحته الثابتة في جريدة الأهرام «بريد الجمعة» إلى جانب إصداراته المطبوعة، إذ كانت تملك شغفا كبيرا بالحكايات الواقعية، وأن الواقع أكثر مبالغة من الخيال وصرخة لمن يهمله الأمر، وكل أبناء جيلها تقول: "أيضا كنت أنتظر بشغف كتب الجيب للدكتور نبيل فاروق، ثم تنوعت قراءاتي بعد ذلك للروايات العربية أو المترجمة".

ورفضت دعاء عبد الرحمن تصدير رؤية موحدة لرجال الدين تجاه الأدب، مشيرة إلى أنه ليس كل رجال الدين يرون الأدب علما لا ينفع، تقول: "هناك رجال دين أعرفهم لهم أعمال أدبية كثيرة ومنهم من راجع معي آخر رواية صدرت لي حتى الآن وهؤلاء يرون أن كل شيء فيه الطيب والخبيث النافع وعكسه ككل أنواع الفنون وليس الرواية فقط".

من وراء حجاب:

منى سلامة، من مواليد 1985، تخرجت في كلية الطب البيطري جامعة المنصورة عام 2008، وبدأت الكتابة على الإنترنت عام 2013، وصدر لها أربع روايات إلكترونية قبل أن تنشر أولى رواياتها الورقية عام 2015. عن رحلتها مع الكتابة قالت منى سلامة: "لم تواجهني أي

معوقات بسبب النقاب لا في البداية ولا الآن. في البداية كنت أكتب في القسم الأدبي في منتدى نسائي، ثم من خلال مجموعات القراءة على الفيسبوك، ولا يهم القراء سوى ما أكتب وليس شكلي. ثم ومع النشر الورقي لم أجد صعوبة كذلك، لأن الفاصل ظل دائما ما أقدم من أعمال وليس طبيعة ملبسي. فأنا لا أصنف كاتباً رجلاً وفقاً لما يرتديه، هل يحب الكاجوال أم الفورمال، فتلك أمور تتعلق بحريته الشخصية وليس لي أن أتدخل فيها، كل ما يهمني هو نتاج فكره وقلمه فحسب".

وتستكمل منى سلامة حديثها: "رجال الدين الذين أثق في علمهم وفتواهم لا يرون الأدب علماً لا ينفع على الإطلاق، بل إن أحدهم يكتب الروايات، وآخر يقرأ الأعمال العالمية الخالدة ويرشحها للقراءة، وأرى أن الفكرة مغلوطة تماماً لأنها مقتصرة على فئة لا أتمي إليها. القرآن استخدم فيه الله عز وجل أسلوب القصص من باب ضرب الأمثال للناس لما للقصة من تأثير قوي، ولسنا ببعيد عن قصص الأنبياء، وقصص سيرة النبي ﷺ، وقصص الصحابة والتابعين، وسير أعلام النبلاء. أي أن الأسلوب القصصي في الحكى عرفناه في ديننا".

وتعليقاً على رؤية بعض النقاد أن النقاب يقيد الإبداع قالت: "لا أعرف إلى أي وقائع يستندون في اعتقادهم هذا، لكنني لا أشعر أبداً أنني مقيدة، لا في حياتي الشخصية، ولا في مشروعي الروائي،

النقاب قطعة قماش ساترة للوجه لي فيها عقيدة، وليست حجابًا على العقل أو قيدًا له، السوشيال ميديا نفسها عبارة عن حجاب يتخفى وراءه الملايين من البشر ورغم ذلك لا يمنع التواصل وتبادل المنفعة فيما بينهم".

منى سلامة ترى كغيرها من الكتاب الشباب أن السوشيال ميديا ساهمت في انتشار كتاباتها من بعد يناير 2011، موضحة أن كتابة الروايات لم تعد حكرا على تيار ثقافي واحد في مصر، وأن مواقع التواصل هيأت بيئة خصبة لتلاقي القراء والكتاب من مختلف الأيديولوجيات. وعن ذلك تقول: "أصبح هذا كله بالمجان، الكاتب يكتب وينشر بالمجان، يتلقى النقد على عمله ويطور من نفسه بالقراءة بالمجان، وأيضا توفر أداة البحث جوجل للكاتب منبعا لا ينضب من الأفكار، مع سهولة الوصول لأي معلومة شاء، لذلك بالتأكيد السوشيال ميديا لها الفضل علينا جميعا".

ماريا:

بدايات الرواية المنتقبة ياسمين حسن لم تختلف كثيرا عن بدايات دعاء عبد الرحمن أو منى سلامة، جميعهن بدأن النشر على المنتديات الأدبية، وصدرت النسخ الأولى من رواياتهن إلكترونيا قبل أن يتوجهن للنشر الورقي، لكن تختلف تجربة ياسمين في الكتابة عن قريناتها، فهي لا تكتب أدبا بضوابط شرعية مثلهن، فقد نرى مشاهد عشق وعلاقات محرمة بين أبطال لا تربطهم علاقات شرعية،

على عكس روايات دعاء عبد الرحمن التي تلتزم فيها بذكر الأدعية والأحاديث النبوية وآيات القرآن خلال رواياتها، حتى في مداخلتها الصحفية اختلفت باسمين حين قالت: "النقاب.. أيقونة تعني الحظر، لكن كعاداتي المجنونة أحب تجربة كل ممنوع، كل ما لا يصح وما هو غير موافق لرضا المجتمع والناس فقط لكونه لا يعجبهم فهو يروقني وتروق لي تجربته، فما العيب في كوني منتقبة وكاتبة؟ وما العلة؟! قررت من اللحظة الأولى ألا أعتبر النقاب عائقا في كتابتي ولا رقيبا على ما أكتب حيث طالبني البعض بأن أحترم النقاب الذي أرثيه عندما أكتب". وترفض ياسمين اعتبار النقاب قيذا: "النقاب ليس قيذا بل هو إطار يحمي صاحبه، ويعطيها كامل حريتها.. فلماذا تم تشويهه؟ تلك التي اختارت مواجهة المجتمع من حولها من خلال صوتها وحسب، اختارت ألا تظهر من وجهها شيئا وتتخلى عن كل ما تضعف أمامه الأنثى من مغريات الموضات والزينة لن يصبح من الصعب عليها أبدا كتابة أدب حر لا قيد فيه، إلا إذا كنت ترغب في أن يتجرد الأدب من صفته كأدب!".

مشاعر خارج النص:

الروائية والناشرة شاهدة الزيات تجاوزت حالة الكتابة لتصبح صاحبة دار نشر أصدرت العمل الأول لكاتبتين منتقبتين في معرض القاهرة 2017، ربما تنبأت وهي في التاسعة من عمرها أنها ستصبح كاتبة حين كتبت أول قصة وهي في تلك السن الصغيرة بعنوان "هي والمجهول" تحكي خلالها عن فتاة تتحدى المجتمع وتصبح

كاتبة. وتحكي شاهنده رحلتها مع الكتابة قائلة: "الكتابة لم تأت من فراغ أبدًا، هي نتاج طبيعي لقراءاتي لمختلف الكتب، فأنا من عشاق مصطفى صادق الرافعي، ومصطفى محمود، وأنيس منصور، والعقاد".

تحكي شاهنده الزيات أنها كانت تزور معرض القاهرة الدولي للكتاب سنويا بدون علم زوجها وبمساعدة أخت الزوج لشراء الكتب من سور الأزبكية، والتي تعكف على قراءتها طوال العام.

وعن تجربتها في النشر تقول: "بالفعل أسست دارا للنشر، ولكن كل الأعمال سواسية تمر على لجان تقييم وقراءة، وموهبة الأديب هي ما تقرر هل أدعاه بالنشر أم لا.. وليس زيه وتوجهه الديني والسياسي".

طروحات مغايرة للخطاب الديني:

الدكتورة هويدا صالح روائية وأستاذ النقد بجامعة مصر الدولية بدأت حديثها بسرد وصول جماعة الإخوان المسلمون إلى الحكم: "حدث في يوم ما أن وصل الإخوان المسلمون للحكم في مصر، وحين فكروا في اختيار وزير للثقافة بعيدا عن خيارات اليسار، وجدوا أنفسهم في حيرة، فلم يكن لديهم أي أسماء تصلح لتولي حقيبة الثقافة، وكانت بداية سقوطهم حين ثار المثقفون المصريون ضدهم في اعتصام وزارة الثقافة الشهير، ومن هنا أدركوا قيمة أن تكون لهم كوادر ثقافية، فهل هذا يفسر ظاهرة الروائيين الملتحين والروائيات المتقبات، الذين واللاتي يكتبون ويكتبن روايات لها صبغة دينية؟ أم أن فقدان الثقة من قبل المصريين في طروحات الخطاب الديني، هو ما

جعل الإسلاميين يبحثون لأنفسهم عن مشارب أخرى للتسلل لوعي الناس غير هذا الخطاب، فلم يجدوا سوى الخطاب الثقافي ليغيروا من وعي الشعوب عبره؟ هل استبدل المشروع الإسلامي المؤدلج آليات تغييره وتسله للشباب، فجاءت الرواية بديلا عن الخطباء والوعاظ؟ وخاصة في ظل ما حققته الرواية من مقروئية عالية بين الشباب على خلفية مقولة "زمن الرواية"؟".

حقوق تعبير أم تضييع لجماليات الرواية؟!

هویدا صالح تشير إلى أنه بعد استثناء ظاهرة الروايات المنتقبات يتساءل قارئ ما أليس من حقهن الكتابة والتعبير؟ هل سنمارس عليهن المنع على خلفية نقابهن؟ لكنها توضح: "بعد قراءة عدد لا بأس به من كتابة هؤلاء المنتقبات قراءة جمالية أستطيع أن أقول مرتاحة البال أن هذه الروايات ضعيفة فنيا لدرجة ضيعت معالم وجماليات الفن الروائي الذي له جماليات استقرت منذ عقود سواء الرواية الكلاسيكية ومحافظتها على الحبكة والزمكانية وبناء الشخصيات أو الرواية الجديدة بطرائق سردها التي قام فيها الروائيون بتشظي السرد واللعب بالزمن والإفادة من جماليات حقول معرفية أخرى مثل الشعر والسينما والفن التشكيلي وغيرها من معارف. إن ما يطلق عليه رواية تجاوزا الذي تلاقي مقروئية مرعبة لم يحلم بها حتى نجيب محفوظ وخاصة من قبل شباب لا علاقة له بفن الرواية ولا ببقية فنون السرد. إنها حكايات ضعيفة تخلو من الجماليات، ومع ذلك تلقى إقبالا غير مفهوم لكنه يحتاج لوضعه في سياقاته المجتمعية".

الميديا الحديثة والترويج للرداءة:

وتضيف هويدا صالح: "قد يقول قارئ آخر إن الأدب الأخلاقي الذي يتبنى المواعظ والقيم أسلوبا له كان موجودا طوال الوقت حتى أثناء وجود عملاق الرواية العربية نجيب محفوظ فلماذا الانزعاج؟ أقول كان موجودا في سياق كانت تطبع من هذه الأعمال نسخا محدودة لا تصل إلا لقراء بعينهم وهم شريحة قليلة جدا، لكن الآن وفي ظل الميديا الحديثة وآليات التسويق للرداءة من الممكن أن يطبع نص، يطلق عليه تجاوزا رواية، يطبع عشرات الطباعات ويبيع مئات النسخ، من هنا يجب أن نتساءل عن القيمة الفنية والوعي الجمالي والتوقف النقدي أمام هذه الظاهرة، فليس ترفا أن نتناولها بالبحث النقدي، بل يجب علينا ذلك حتى لا نساهم في التكريس للرداءة".

ضد الخطاب النقدي المتحضر:

الدكتور حمدي النورج أستاذ النقد وتحليل الخطاب بأكاديمية الفنون يطرح رؤية نقدية مغايرة قال خلالها: "سيظل الخطاب على تعدده وتنوعه وثيقة كاشفة بما يحتويه من جملة الأفكار التي يطرحها، والتأثير المفهومي والقيمي الذي ينطلق منه، والنظرة الإبداعية لجوهر الأشياء وروح الفن. هذا التوثيق وفائدته المرجوة من أي خطاب يجب أن يقابله نوع من التعاطي النقدي غير المتحضر.. أقصد أن الخطابات على تنوعها ورؤيتها ومضامينها صالحة لحمل بذور أفكار كبرى قابلة للتحقق والنقاش والفعل والافتعال وأفكار غيرها قابلة للتعاطي

والثقل.. نحن لا نعدم الفكرة. كما أنه ليس من الواجب أن نقول
الخطابات ونعلبها في صناديق جاهزة إقلا ولا وهجرا".

واعتمادا على ما سبق يشير النورج إلى أننا نقرأ خطابات منتجة
من خلال هوية اتسم أصحابها بالتوجه الإسلامي الراديكالي اعتمادا
تصنيفا في بدئه على الشكل والزي والموضوع ثم على جوهر الطرح
والتناسيات المعتمدة المتضمنة، موضحا أن العبرة بما يقال وليست
العبرة بمن قال، ولا فتا إلى أنه ومادام الخطاب أي خطاب منطلقه
جوهر ودينامية المجتمعات فإن أمر قبوله لا يخضع لسلطة كهنوتية
صنعها كهنوت بعض النقاد أو حتى المبدعين الذين يطرحون خطابهم
من شبك غرفهم ليلا ثم هم يرفضونها صباحا، على حد قوله.

النورج يرى أنه لا حكر على أي خطاب ولا سلطان أبوي قاهر
ومضيق لأفق الإبداع ورغبة مبدع ما في أن يطرح خطابه ما دامت
تقنيات الإبداع وحركته وخطواته ومدارجه واضحة وجلية، ومضيفا
أنه ليس من حق آلة النقد بحياديته أو جموحها أن تنعت الخطاب
طبقا لحالية الاقتراب أو الابتعاد عن جوهر الدين.

وينتهي النورج حديثه قائلا: "نحن ندور كما دار غيرنا في الفلك
نفسه، وبعيدا عن تتبع الظاهرة، أمامنا ما يعرف بإبداع المنتقبات
وأمامنا أيضا ما يعرف اصطلاحيا بالرواية الإيروتيكية، لماذا يحتفي
الناس بالأخيرة ثم هم يغضون الطرف عن تجارب نسوية جادة بعيدا
عن سمت الزي وطقسه".

أنصار الأدب الإسلامي يقيدون الإبداع

"يا أحمد مراد.. إن الأدب في التأدب مع الله، وإلا يسمى قلة أدب مهما كانت جودته ودواعيه". بهذه الكلمات انتقد أحد القراء على موقع القراءة جود ريدز رواية الكاتب المصري أحمد مراد "موسم صيد الغزلان" الصادرة حديثاً عن دار الشروق بمصر. وفي السياق نفسه وجه مئات القراء انتقادات لرواية مراد الأحدث بدعوى أنها رواية إلحادية غير أخلاقية.

تقييم رواية مراد المنطلق من منظور ديني ومطالبته بكتابة روايات تحترم التصور الإسلامي، أعاد للأذهان مرة أخرى المسألة التي انشغلت بها دول العالم الإسلامي في حقبة الثمانينيات، والخاصة بالحديث عن مصطلح الأدب الإسلامي، التي انبثقت عن "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" بدعوى من الشيخ أبو الحسن الندوي في الهند، وتأسست الرابطة في السعودية عام 1984 لتخرج عنها سلسلة من الإصدارات ما بين الكتب والدراسات والمجلات الأدبية التي تحدثت عن وجود أدب إسلامي منذ بعثة الرسول ﷺ قبل 1400 عام وحتى اليوم.

اعتراضات القراء على رواية مراد ليست بجديدة، إذ بدأتها الرابطة قبل ثلاثين عامًا حين وضعت 16 شرطًا لتحقيق أهدافها وأعمالها، كان على رأسها تعريف مصطلح الأدب الإسلامي وهو: "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي" وأيضًا: "الأدب الإسلامي أدب ملتزم، والتزام الأديب فيه التزام عفوي نابع من التزامه بالعقيدة الإسلامية، ورسالته جزء من رسالة الإسلام العظيم".

الدكتور جابر قميحة (1934 - 2012) أستاذ الأدب بجامعة عين شمس بالقاهرة وعضو جماعة الإخوان المسلمون كان أحد المدافعين عن مصطلح الأدب الإسلامي، حيث قال في تعريفه لهذا النوع من الأدب إن "الإسلام شرط أساسي في وصف الأديب المسلم، أي أن مبدع الأدب الإسلامي يجب أن يكون مسلمًا...". وفي وصف قميحة لوضع الإبداع الموجود حاليًا قال: "والإبداعات الموجودة على الساحة الآن في بعضها ملامح من الأدب الإسلامي، ولكن كثيرًا منها يعتبر أدبًا ساقطًا ماجنًا، يرفضه لا أقول الأدب الإسلامي فحسب، ولكن الإسلام نفسه".

أنصار مصطلح الأدب الإسلامي وأعداؤه حصروا المواجهة دائمًا من خلال الحديث عن بعض رموز الأدب الإسلامي في العصر الحديث مثل: مصطفى صادق الرافعي، ونجيب الكيلاني، وسيد قطب، ومحمد سعيد العريان، وآخرين، في محاولة للتدليل على وجوده، دون التقيد بشروط أو معايير أو شكل ما للأدب الذي يحاول رافضو المصطلح تصديره خلال توجيه اعتراضاتهم لكتابات هذه

الأسماء، والدفع بأنها كتابات لا يتوافر فيها الشكل المتعارف عليه للأدب.. فقد كان الصراع دائمًا على أرضية أكاديمية بحثية بين القائل بأنه لا قيد على الأدب، أو الحديث عن ضرورة أن ينطلق الأدب من تصور إسلامي أخلاقي، إلا أن المسألة التي أخذت بعدًا أكاديميًا في الظاهر، لم يكن تفسيرها ينفصل عن البعد السياسي الذي سيطر على المشهد العام في دول العالم العربي والإسلامي فترة السبعينيات والثمانينيات، في محاولة لاستخدام كل الإمكانيات المتاحة دفاعًا عن مشروع الدولة الإسلامية التي سعت لتقديمه جماعات الإسلام السياسي المعاصرة.

المؤسس أبو الحسن الندوي:

مؤسس المصطلح الشيخ أبو الحسن الندوي (1914 - 1999)، أنشأه في شبه القارة الهندية؛ من أجل مقاومة التمييز ومواجهة الشيخ والبوذيين وغير المسلمين من جهة، ولمقاومة الاستعمار الإنجليزي من جهة أخرى؛ ويظهر البعد السياسي في السعي من أجل تصدير المصطلح عند محاولة التنقيب عن الأسماء التي وضعت ضمن معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، الذي صدر في الأردن بالتنسيق مع رابطة الأدباء الإسلاميين العالمية، لنجد اسم شكري مصطفى (1942 - 1978) مؤسس جماعة "التكفير والهجرة" المتطرفة قاتلة الشيخ الذهبي وزير الأوقاف المصري في حقبة السبعينيات، وجاء في تعريف معجم الأدباء الإسلاميين: "شكري مصطفى كان معروفًا بين زملائه بكنية أبو سعد الأسيوطي... كان داعية إسلاميًا منذ صباه...

كان شاعرًا منذ نعومة أظفاره، وكانت أولى قصائده عام 1957 عندما كان في السادسة عشرة من عمره".

الكتابة الجديدة والدعاة الجدد:

المواجهات في فترة الثمانينيات انحصرت في مناظرات أكاديمية بين متخصصين في الأدب والنقد من كلا الجانبين، غير أنها لم تلقَ الرواج نفسه والاهتمام بين قراء تلك الحقبة، خصوصًا مع تراجع مستوى القراءة مصريًا وعربيًا فترة الثمانينيات، مع صعود نجم تيارات الإسلام السياسي وتراجع نفوذ اليسار، المسألة التي اختلفت نهاية التسعينيات وأوائل الألفية الثالثة، مع ظهور ما عرف إعلاميًا بظاهرة الدعاة الجدد؛ حليقي اللحى أصحاب الياقات البيضاء، الذين سعوا لتقديم صورة أكثر حداثة وليبرالية للإسلام؛ فخرج الداعية عمرو خالد كنموذج بمحاضرات عن الحب الإسلامي والمصيف الإسلامي، وقدم الداعية راغب السرجاني محاضرة عن القراءة بعنوان "القراءة منهج حياة" قسم فيها مراتب القراءة عند الفرد المسلم إلى عشر درجات، بدأها بقراءة القرآن في المرتبة الأولى، وختمها بقراءة الأدب في المرتبة الأخيرة، مع مطالبة الشباب بالحرص في القراءات الأدبية حتى لا تؤثر على بقية القراءات الأهم من حديث وفقه وعقيدة.

نتج عن صورة الإسلام الليبرالي الذي قدمه الدعاة الجدد جيل من القراء والكتاب تربى على يد هؤلاء الدعاة، جيل يضع قيودًا حول إبداعه حين يكتب أو يقرأ، جيل قد تصدمه كلمة بذئثة في رواية "من وجهة نظره" أو وصف لعلاقة جنسية بين بطلي رواية، أو رؤية شاطحة عن الله والأديان.

تلك الميول التي سيطرت على القراء والأدباء الشباب بعد ثورات الربيع العربي في تفضيل الأدب ذي البعد الإسلامي، انتهت لها دور نشر الشباب التي تأسست بكثرة في القاهرة بداية من عام 2012، بعد تراخي القيود الأمنية التي عملت على تحجيم صناعة النشر والصناعات المرئية والمسموعة قبل عام 2011، إلى جانب فتح المجال لدور النشر التابعة لتيار الإسلام السياسي لتلتحق عشرات الدور التابعة لجماعات الإسلام السياسي باتحاد الناشرين المصريين، حيث ارتفع عدد دور النشر صاحبة العضوية في الاتحاد من 260 دار نشر عام 2012 إلى 700 دار نشر عام 2018، وكانت سببًا في نجاح عضو جماعة الإخوان المسلمون في القاهرة عاصم شلبي في انتخابات رئاسة الاتحاد عام 2012، وسعت تلك الدور للتحكم في ضوابط ومعايير نشر وعرض وبيع الكتابات الأدبية للشباب، حيث أشار كتاب مصريون من الأجيال الأكبر إلى منع مكتبات بيع الكتب عرض أعمالهم المنشورة بسبب تضمينها تداخلات مع الجنس والدين أو السياسة بشكل لا يستهويه القراء الشباب الآن، وسعى بعض الناشرين إلى توجيه الأدباء الشباب قبل نشر أعمالهم ومطالباتهم بحذف الفقرات التي تنتهك تلك التابوهات.

المنتقبة الحساء:

تناول مصطلح الأدب الإسلامي سابقًا لم يكن يحتاج للتعامل مع تيار الإسلام السياسي ككتلة واحدة، فإذا كانت جماعة الإخوان المسلمون تسعى كنموذج لاستخدام جميع الأدوات المتاحة للترويج

لفكرتها عن الدولة الإسلامية الحديثة، فإن جماعات السلفية التقليدية أو السلفية الجهادية كانت تنظر للأدب باعتباره علمًا لا ينفع، وأن الأفضلية لقراءة القرآن وكتب الحديث والفقه وعيش الفرد في كنف الله بعيدًا عن ملهيات الحياة. هذه الرؤية ربما تغيرت جذريًا في السنوات الخمس الأخيرة التي أعقبت ثورات الربيع العربي، إذ صدرت خلال هذه السنوات 26 زواية لعشر كاتبات منتقبات في مصر فقط. تدور معظم هذه الروايات في فلك الدعوة إلى الفضيلة والتمسك بتعاليم الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أصبح المشهد الثقافي في التعامل مع المصطلح مختلفًا بعد ثورات الربيع العربي عن الفترة التاريخية التي عاصرت نشأة المصطلح؛ فبعد أن كان الحديث عن الأدب الإسلامي حديثًا وليدًا يلقي التعنت ومحاولات التحجيم من اليسار المصري الذي كان مسيطرًا على عملية نشر الإبداعات وتقديمها للقراء من خلال مطبوعاته الأدبية، تبدلت المسألة وأصبحت إبداعات اليسار تواجه بالتحجيم من قبل منافذ بيع الكتب ونشرها، في حين تتصدر واجهات بيع الكتب في القاهرة كتابات المنتقبات الأعلى مبيعًا، والكتابات التي تنطلق من التصور الإسلامي، المتماهية مع البعد الأخلاقي والديني المنطلق من عقيدة جماعات الإسلام السياسي.



"الناقد الرقمي" .. أحدث ظواهر

السوشيال ميديا الثقافية

من الظواهر الثقافية المتأثرة بالسوشيال ميديا التي انتشرت مؤخرا ظاهرة "الناقد الرقمي"؛ آراء انطباعية يقدمها القراء عبر وسائط شبكات المعلومات، بدأت على استحياء مع ظهور عصر المدونات في أوائل الألفية الثالثة، إلا أن تعدد الوسائط واتساع رقعة القراءة وزيادة عدد الكتب المطبوعة دفع لظهور موقع يجمع أصحاب هذه المراجعات لتخرج علينا شبكة "جود ريدز" موقع القراءة الأشهر في العالم.

جود ريدز الذي استحوذت عليه شركة أمازون عام 2013 دون الإفصاح عن قيمة العقد في حينه يستخدمه 20.3 مليون قارئ داخل أمريكا وهي في المرتبة الأولى بين قائمة المستخدمين، وتأتي مصر رقم 11 بواقع حوالي 509 آلاف وتحتل مدينة القاهرة المرتبة رقم خمسة على مستوى مدن العالم المستخدمة للموقع بواقع 381 ألفا، وتحتل السعودية رقم 13 عالميا بواقع حوالي 423 ألفا.

381 ألف مستخدم فقط داخل القاهرة يكتبون آراءهم الانطباعية عن الكتب التي قرأوها، ومع زيادة عدد مراجعات كتاب بعينه يحدد بقية القراء أحقية أي كتاب بالاحتناء من عدمه، لندخل دائرة جديدة من

عصر الاستغناء عن الناقد بشكله الكلاسيكي الذي كان نافذة القراء والكتاب أيضا لمعرفة كل ما هو جديد.

إزاحة النخبة:

الدكتور خالد الغمري أستاذ مساعد اللغويات الحاسوبية بجامعة عين شمس وأحد مؤسسي مرصد المحتوى العربي على شبكة الإنترنت يشير إلى أن مستخدمي السوشال ميديا في العالم حوالي مليارين ونصف المليار، فيس بوك يستحوذ على مليار و860 مليوناً، تويتر 913 مليون مستخدم نشط شهرياً، جود ريدز 50 مليون مستخدم في العالم. موضحاً دور السوشال ميديا في إزاحة النخبة: "مواقع التواصل الاجتماعي منحت بعض مستخدميها سلطة لصياغة الأجندة الثقافية، هذه السلطة كانت قبل ذلك حكراً على المؤسسات والنخب الثقافية التقليدية. ولا بد هنا من الإشارة إلى أمر مهم وهو أن الموجة الثانية من الإنترنت التي تمثلت بداية في المدونات والآن في مواقع التواصل الاجتماعي وثقافة الويكي والإنتاج الجمعي للمعرفة.. هذه الموجة من أهدافها المعلنة صراحة: إزاحة النخبة وتمكين الجماهير".

دينا نبيل طيبة ومدونة، كانت واحدة من أشهر المستخدمين لموقع جود ريدز في القاهرة، حتى تسبب كتاب مصريون في إغلاق صفحتها بعد بلاغات قدموها للموقع، تحكي دينا نبيل عن التجربة: "بدأت التدوين عام 2009 في مدونة "رفايع" ضمن عشرات المدونات التي

نشئت في تلك الفترة، في البداية كان التدوين عن مختلف المواضيع: سياسية وفنية وكتب. لاحقا تم التركيز على الكتب. ثم جاءت مرحلة الجود ريدز التي أكسبت كتابة المراجعات زخما وتنوعا ملحوظا وبالفعل وصلت للتعليق رقم ألف في بضع سنين، مع الشهرة وربما مع بعض التأثير على مبيعات بعض الروايات الشبابية تم إغلاق حسابي على الجود ريدز وضياع حوالي ألف مقال بسبب شكاوى بعض المؤلفين الشباب التي أرسلوها للموقع معترضين على حدة النقد خاصة أنهم اعتادوا على المدح الأعمى".

نخبة نقدية رقمية:

يضيف خالد الغمري أن مجرد نظرة سريعة على موقع جود ريدز سوف تكشف بسهولة أن هناك "نخبة نقدية رقمية على الموقع يتابعها الكثيرون ويتأثرون برأيها وتوصياتها بالكتب التي تستحق القراءة" هناك نماذج أكثر من رائعة من خارج المؤسسة التقليدية للنقد، ونماذج أخرى استطاعت أن تمزج بين أفضل ما في العالمين: الافتراضي أو الرقمي والتقليدي، وأعتقد أن من استطاع تحقيق هذا المزج حقق المعادلة الصعبة: بين النقد الرصين من حيث قيمته، والجذاب من حيث صياغته بما يتناسب مع طبيعة الوسيط الرقمي، وهناك الآن كثيرون من الكتاب والروائيين الذين يعتمدون على متخصصين لإدارة صفحاتهم وحساباتهم على هذه المواقع، هؤلاء أدركوا ولو متأخرا أهمية الحضور على هذه المواقع، خاصة أنها المكان المفضل

لكثير من قرائهم ومتابعي كتاباتهم، باختصار يمكن القول إن الكتب والكتاب غير الحاضرين على هذه المواقع، يمكن اعتبارها غير موجودة".

يوتيوب:

تطور اهتمام القراء بالآراء المسجلة عن الكتب في جودريدز وفيس بوك وتويتر وتسببت هذه الآراء في الترويج لكتب بعينها شجع آخرين لتطوير أدواتهم، فلماذا لا تكون المراجعة مصورة؟ أصبح موقع يوتيوب تلفزيون الجماهير البديل، لست في حاجة لانتظار برنامج ثقافي على قناة فضائية أصبح لا يأتي أبدا بعد تراجع اهتمام الصحف والقنوات الفضائية بصفحات وبرامج الثقافة.

ضحى الحداد مهندسة كويتية تقدم قراءات مصورة بشكل دوري على قناتها بموقع يوتيوب: "لست ناقدة، أنا ببساطة أبدي رأيي بالكتب التي قرأتها، وبما أنه في محيطي لا يوجد قراء فلجأت لليوتيوب لإيجاد قراء على نفس ذوقي، نتشارك وناقش آراءنا".

ضحى الحداد أبدت رغبتها في أن يصبح هناك اهتمام أكبر بالظاهرة، وضربت مثلا بما تقوم به دور النشر الأمريكية والبريطانية مع أصحاب هذه القنوات في بلادها: "يشجعون القراء على إبداء رأيهم في البداية، وإذا حققت القناة شهرة على يوتيوب يرسلون إليها الكتب مجانا بغرض الإعلان، حتى لو كان تقييم القارئ عن العمل سلبيا، وأحيانا تنظم دور النشر حفلات توقيع للكتاب يستدعون فيها أصحاب القنوات المشهورة لتقديم الحفل".

أنا قارئ ولست ناقدًا:

سامح ياسين يقدم مراجعاته على موقع يوتيوب هو أيضا، تواصلنا عن طريق موقع فيس بوك، وأجرينا المقابلة عبر مكالمة فيديو باستخدام "gmail" وأجرى قبل اللقاء بحثا سريعا على جوجل قرأ خلاله مقالاتي ليعرفني، لم نتقابل أبدا، فقط السوشيال ميديا أذابت كل الفواصل، لكنها في نفس الوقت لم تصبح حتى الآن بابا لمعرفة سامح لأسماء النقاد والأدباء المكرسين. باب الاعتراف بالناقد أو الكاتب لدى النقاد الرقميين هو تواجدهم على السوشيال ميديا، غير ذلك فأنت بالفعل غير موجود لديهم ولدى آخرين: "شخصيا لا أعرف أسماء النقاد الكبار، كل ما أعتمد عليه هو تقييم القراء على موقع جود ريدز أو الصفحات الرسمية للكتاب، أو صفحات مكتبات بيع الكتب على السوشيال ميديا".

لكنه في نفس الوقت أبدى استعدادا لمعرفتهم سعيًا لتطوير أدواته النقدية، حين اهتم بالسؤال عن ترشيحات لأفضل الصحف الثقافية والمجلات النقدية الورقية التي عليه متابعتها.

تطوير الأدوات:

منذ أسابيع أطلق مجموعة من طلاب وخريجي معهد السينما في القاهرة برنامجا مصورا على موقع فيس بوك عنوانه "الفيل السعيد" لتقديم مراجعات الكتب والتعريف بالكتاب وتناول الظواهر الثقافية، اعتمدوا في كتابة حلقاته على محرري ثقافة ونقاد شباب، مما يعد

انتقالا مهما من مرحلة الهواية لمرحلة أكثر احترافية. مخرج الأفلام التسجيلية إسلام أمين عضو مؤسس بالمشروع يحكي عن التجربة: "جمع معظمنا هدف مشترك، أننا حين نقدم للعمل في أي قناة فضائية كمثال نسأل عن الخبرات العملية، هنا قررنا عمل فيديوهات بشكل تعاوني بيننا وتدشين منصة على موقع فيس بوك، ولأن جميعنا يهتم بالكتب فكانت فكرة برنامج "الفيل السعيد" وتقديم مجموعة من الفيديوهات التي تتناول الكتب والظواهر الثقافية".

فكرة البرنامج لم تكن عشوائية بل سبقها مجموعة من الدراسات وقراءة المشهد العام "وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات قالت عام 2016 الآتي: 38 مليون مصري يتصفحون الإنترنت. بينهم 32 مليوناً على فيس بوك، في المقابل أي استثمار في قناة فضائية صغيرة سيكون مصدر دخل كبيراً".



عن السرقات الأدبية والقوانين الرخوة

في كتابه "مقتنيات وسط البلد"، يروي الكاتب والروائي المصري الراحل مكاوي سعيد، تحت عنوان "السينمائي"، قصة شاب قروي حضر إلى القاهرة ليعمل في مجال السينما، وبدأ حياته العملية "مشهلاتي" (شخص يقوم عنك بمهام بسيطة مقابل المال)، لكن طموح ذلك الشاب كان أكبر من ذلك. حتّى جاء اليوم الذي غيّر حياة ذلك الشاب، حين تحدّى العاملين في مكتب المنتج السينمائي الشهير الذي يعمل به، أن يكتب سيناريو فيلم كامل في 6 ساعات، وطبعًا قوبل تحدّيه هذا بسخرية الجميع، لكنّه مع ذلك أحضر مجموعة من الأفلام الأجنبية المسجلة، وجلس في غرفة يشاهدها، ثم خرج عليهم وهو يحمل بين يديه سيناريو فيلمه الأول. لكن تبين للحضور، بعد ذلك، أن الشاب القروي دمج أحداث الأفلام التي شاهدها ليكوّن منها جميعًا سيناريو فيلمه الجديد، ما عدّه الناس وقتئذٍ سرقة. وقد أصبح الشاب عضوًا في نقابة السينمائيين، وله بعض الأعمال التلفزيونية، إلى جانب أنّه كتب، في السنوات الأخيرة، أحد أفلام واحدٍ من أشهر ممثلي الكوميديا، كما أكّد الكاتب في "مقتنيات وسط البلد".

وذكر سعيد في كتابه، أن ذلك الشاب القروي لم يقبل أن يُتهم بالسرقة، والمسألة برأيه لم تتعدّ كونها "تفتيح مخ"، و"فهلوة"، وبرّر ذلك بأن السيناريو الذي كتبه مختلفٌ تمامًا عن الأفلام التي اقتبسه منها، وذلك مجهودٌ يمنحه الحقّ في امتلاك ما سرقه.

مؤخرًا، مع ثورة الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات، التي ضخّت بيانات ومعلومات لا تحصى، باتت عملية النسخ والاقتباس سهلةً، وازدادت الاتهامات الموجهة لأدباء بسرقة أعمالهم الروائية، التي نالوا بها مراتب متقدمة، وحازوا بفضلها جوائز مهمة، مثل: رواية "الفيل الأزرق" لأحمد مراد، الذي اتُهم بسرقة فكرتها من فيلم أجنبي، وطالت الاتهامات روايات، "عزازيل" ليوسف زيدان، و"ضارب الطبل"، لأشرف الخمايسي، ورواية "نادي السيارات" لعلاء الأسواني. ثم اتسعت دائرة الاتهامات، حتى أصبحت لا تلقى اهتمامًا لدى القارئ، الذي يجد اتهامات السرقة لا تقابلها عقوبات للمؤلف، أو سعي من أجل إعادة الحق لصاحبه الأصلي، أو تأكيد لها وبقائها في دائرة الاتهام غير المستند لدليل!

تشعبت اتهامات سرقة حقوق الملكية الفكرية، ولم تعد تقتصر على سرقة أفكار الأعمال الأدبية؛ بل طالت سرقة ألحان موسيقية، وتعريب أغاني وأفلام أجنبية، وتقديمها للمشاهد العربي على أنها تُعرض للمرة الأولى.

في السياق نفسه، ذكر وزير الثقافة المصري السابق، حلمي النمنم، في تصريحات صحفية، أن الجامعات المصرية تحتل المركز الأول

في سرقة البحوث العلمية على مستوى العالم، مؤكداً عدم كفاية الإجراءات المتخذة للقضاء على هذه الظاهرة.

ورغم غزارة الكتابات التي تحدثت عن السرقات الأدبية، وسرقة حقوق الملكية الفكرية، لكن هذه الكتابات لم تقدّم معياراً واضحاً، نستطيع أن نتحرى وجود تعدّد على حقوق الملكية الفكرية من عدمه. سواء بالاستناد إلى قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري، رقم 82 لسنة 2002، أو الاتفاقات الدولية التي وقعتها مصر والدول العربية، خاصة ما ورد في اتفاقية "برن" لحماية المصنفات الأدبية والفنية، أو اتفاقية الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية "تريبس".

ليست سرقات أدبية:

طبقاً لاتفاقية "برن"، والتشريعات المنظمة لحقوق الملكية الفكرية، في الدول أعضاء منظمة التجارة الإعلامية؛ فإن معظم الاتهامات الموجهة لأدباء عرب بالسرقة الأدبية ليس لها سندٌ قانوني؛ فالحماية، بحسب هذه التشريعات والاتفاقيات، لا تشمل مجرد الأفكار، ولو كانت معبراً عنها، أو موصوفة، أو موضحة، أو مدرجة في مصنف، فالمؤلف، بذلك، لو أخذ فكرة، وعالجها بطريقة، ثم قدمها بأسلوب خاص به، فإنه يخرج من دائرة الاتهام.

طبقاً للقانون، فإن العمل الأدبي الذي تقع عليه حماية نصوص القانون، يجب أن يكون من نتاج الذهن، أيًا كانت طريقة التعبير عنه، وتسري حماية حقوق المؤلف على النتاج، لا مجرد الأفكار،

أو الإجراءات، أو أساليب العمل. إذا، الحماية للإنتاج المادي المحسوس وليست للجهد الذهني.

لا يكفي أن يكون العمل ذهنيا، بل يُشترط أن يكون مبتكرا أيضا، وقد عرّف القانون المصري الابتكار، بأنه "البصمة الشخصية للمؤلف على المصنف، باعتباره نتاجا ذهنيا خاصا بالمؤلف متميزا به عن غيره".

إن ما صدر بقرار رئيس مجلس الوزراء المصري رقم 497 عام 2005، في اللائحة التنفيذية للكتاب الثالث من قانون حماية حقوق الملكية الفكرية، الصادر بالقانون رقم 82 عام 2002، لا يشترط لإثبات ملكية المنتج الإبداعي، تسجيل العمل في مكتب حماية حقوق المؤلف المصري، أو إيداع نسخ معينة من الكتاب في دار الكتب والوثائق المصرية؛ فتلك مسائل شكّلية، وطبقًا لاتفاقية "برن": لا يخضع المؤلف لأي إجراء شكلي، من أجل التمتع بملكية منتجه، أو ممارسة حقوقه.

أيضا، لا تشمل الحماية الأخبار والوقائع الجارية، التي تكون مجرد أخبار صحفية، فتلك نقلها مشروع دون الإشارة لمصدرها، وتتمتع بالحماية فقط إذا تميز جمعها بالابتكار في الترتيب، أو كانت نتاج مجهود شخصي جدير بالحماية.

قوانين لم تكتمل:

منذ إنشاء منظمة التجارة العالمية، في 15 أبريل عام 1994، برزت إلى جانب أزمة السرقات الأدبية، جدليات أخرى لم تحسم، تتعلق

بحماية حقوق المؤلف وقانون الملكية الفكرية، وقد تضمنت الاتفاقية الجوانب المتعلقة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية، المصطلح على تسميتها اتفاقية "التريس"، ذلك أن المنتج الأدبي له خصوصية تجعل من الصعب تكييف وضعه القانوني، فهو ليس منتجاً مادياً بالشكل الذي نستطيع أن نتعامل معه تجارياً، مثل البضائع التجارية، ويقر، في الوقت نفسه، حقوقاً مالية للمؤلف، تضعه داخل بند حقوق الملكية، لا الحقوق الشخصية اللصيقة بالفرد، وهي مسائل لم تحسمها قوانين دول أعضاء المنظمة حتى اللحظة.

إلى جانب ذلك، توجد صعوبات في تحديد مدى حماية بعض التفاصيل الأخرى الخاصة بحقوق المؤلف، مثل عنوان المصنف الأدبي؛ إذ لا توجد مادة صريحة، في الكتاب الثالث من القانون، تذكر حماية العنوان. لكن مواد الكتاب الثاني من القانون، تناقش ما يخص العلامة التجارية، ويندرج تحت هذا القانون كل ما يميز المنتج عن غيره، سلعة كان أو خدمة، خاصة الأسماء التي تتخذ شكلاً مميزاً... إلخ.

تفسيراً لهذا القانون؛ هل نستطيع أن نعدّ عنوان المصنف الأدبي علامة تجارية تخضع لأحكامه، أم إن العنوان محمي لأنه جزء من المصنف الأدبي غير منفصل عنه؟

في الفقرة 13 من المادة 140 من القانون المصري، وفي إطار الحديث عن المصنفات المشتقة، أي المصنفات الذي يُستمد أصلها من مصنف سابق، مثل الأغنية التي تعتمد على كلمات الشاعر

وموسيقى الملحن، تنص المادة على أن هذه المصنفات تتمتع بحماية هذا القانون، وذلك دون الإخلال بالحماية المقررة للمصنفات التي اشتقت منها، وتشمل الحماية عنوان المصنف إذا كان مبتكرًا.

بشكل غير مباشر، تحدثت المادة عن وجود حماية لعنوان المصنف الأدبي، شريطة أن يكون مبتكرًا، ويقصد بالابتكار: الطابع الإبداعي الذي يسبغ الأصالة على المصنف.

وحتى تلك اللحظة، تتواجد في المكتبات المصرية عشرات الكتابات التي تحمل العنوان نفسه، وتتعدد أحيانًا، لتجاوز العاملين والثلاثة والأربعة، جميعها لها العنوان ذاته، وذلك في الكتب، أو الأغنيات، أو أفلام السينما.

فإذا افترضنا أن عنوان المصنف الأدبي هو علامة تجارية، فطبقًا للقانون؛ لا يستطيع أي فرد آخر استخدام العنوان نفسه، ويعد استخدامه مخالفًا للقانون، يتعرض مرتكبها للمساءلة القانونية.

الكتاب المزور:

من القضايا الشائكة أيضًا، فيما يخص حقوق الملكية الفكرية، عمليات تزوير الأعمال الأدبية، وبيعها في الأسواق العربية، وسرقة الحقوق المالية للمؤلف والناشر، فطبقًا لتقرير نشرته منظمة الجمارك العالمية، فإن حجم التجارة في السلع المزيفة بلغ 760 مليار دولار في العالم، عام 2010، بنسبة أرباح تصل إلى 800٪، بينما أرباح الهيروين، في الفترة نفسها، بلغت 400٪. وإذا وضعنا في الاعتبار

حجم الخطورة، فإن التجارة في السلع المزيفة أقل خطورة، وأكثر ربحاً، خاصةً أن أغلب القضايا الخاصة بحقوق الملكية الفكرية، يصبح لا محل لها من الإعراب، إذا أثبت من وجَّهت إليه التهمة حسن نيته، وأنه لم يقصد الإضرار بصاحب حق الملكية الفكرية.

وفى السياق نفسه؛ فإن واضعي القوانين المنظمة لحماية حقوق الملكية الفكرية، لم يراعوا التطور السريع لتكنولوجيا المعلومات، والثورة التي أحدثتها "السوشيال ميديا" في حجم البيانات، حتى أصبحت المسألة في حاجة إلى إعادة تعريف كثير من المفاهيم الخاصة في حقوق المؤلف، ووضع قوانين أكثر مرونةً، تكون قادرةً على ملاحقة زخم قواعد البيانات على شبكات الإنترنت.

* * *

مافيا تزوير الكتب

وقف مسؤولو وزارة الثقافة المصرية ورئيس اتحاد الناشرين المصريين يفتتحون معرض الإسكندرية للكتاب في دورة 2016، غير متبهين وهم يتصفحون أحدث إصدارات دور النشر المصرية المشاركة في المعرض إلى أن بعض دور النشر المشاركة التي يتفقدونها تضم كتباً عربية وأجنبية مقلدة غير أصلية بالمخالفة للقانون، لتأخذ قصة تزوير الكتاب التي ألفت بظلالها على سوق صناعة الكتاب المصري والعربي منذ أكثر من 20 عاماً منحني جديداً. ربما ذلك ما دفع بعض الناشرين عام 2015 للتفاوض مع مزوري الكتب في محاولة لإيقاف نزيف خسائرهم عن طريق عرض تزويد أصحاب المكتبات في سور الأزبكية بطبعات شعبية بنفس سعر الكتاب المزور مقابل وقف عمليات طبع الكتاب بشكل غير شرعي. لكن يظل السؤال قائماً، هل سيتهي عصر تزوير الكتب وانتهاك حقوق الملكية الفكرية للمؤلف والناشر.

* * *

إمبراطورية الكتاب المزور

شريف الليثي صاحب ومدير دار تويا للنشر والتوزيع تزعم عام 2015 دعوة للتفاوض مع مكاتب سور الأزبكية والمطابع التي تطبع كتباً مقلدة مفادها أن تقوم دور النشر بتوريد طبعات خاصة لسور الأزبكية في مقابل وقف عملية تزوير الكتاب، وقدم بالفعل طبعة أولى خاصة بالسور من كتاب "الورقة" للفنان إسلام جاويش.

دعوة الليثي قابلها بعض الناشرين بالترحاب، وهاجمها آخرون بحجة أن المفاوضات مع لصوص الكتب لا تجوز وأنه بهذا الاتفاق يحصل هؤلاء على شرعية تمكنهم من التزوير تحت أعين القانون وحمايته.

الليثي ذكر حواراً دار بينه وبين مزور للكتب أغلق جناحه في معرض القاهرة بعد إثبات تزويره للكتب قائلاً: "المزور جالي وقاللي على طريقة تجار المخدرات هخلي واحد من اللي شغالين عندي يشيل القضية وكلها في الآخر غرامة وهدفعاله.. فقولتله انت عندك كام واحد قاللي عندي سبعة.. قولتله هخلصهم لكهم، قاللي مجيب تاني، العيال ما بتخلصش".

وأشار الليثي إلى أن التجربة التي يتزعمها ستقدم كتابا طبع بشكل محترم لكن بأسعار زهيدة ليغلق الباب على مزوري الكتاب وحتى وإن لم يربح شيئا من هذه النسخ المخفضة، موضحا أنه لن يخسر شيئا لأنه بالفعل خسر حين ترك السوق لسيطرة مزوري الكتاب والإضرار بصناعة النشر في مصر.

* * *

ضعف العقوبات المقررة على المزورين

محمد خضر مدير التوزيع بمكتبات الشروق قال إن الدار بدأت رحلة المعاناة مع الكتاب المزور من السوق الخارجي أواخر التسعينيات من القرن الماضي حين تقدم أحد الناشرين في مصر إلى مناقصة لتوريد الكتب لإحدى الجهات الحكومية في ليبيا وقدم لهم نسخا مزورة من كتابين للدكتور محمود شلتوت، الأول: كتاب "الإسلام عقيدة وشريعة"، والثاني: كتاب "من توجيهات الإسلام"، موضحا أن مسؤولي الدار سافروا إلى ليبيا وتواصلوا مع الجهة الحكومية وهي جامعة ليبية وحصلوا على نسخ مزورة من الكتاب والتي قام بتوريدها ناشر مصري لم يكن في ذلك الوقت عضوا في اتحاد الناشرين المصريين.

خضر أشار إلى أنه كان من الصعب في الماضي أن تجد كتابا مزورا في مصر وذكر موقفا حدث مع صاحب مكتبات ودار الشروق إبراهيم المعلم حين كان يتمشى إلى مقر المكتبة في وسط البلد عام 2005 ليجد عربية محملة بنسخ مزورة من إصدارات الشروق فاستوقفها وأحضر الشرطة وتم تحرير محضر بالواقعة.

ولفت خضر إلى أن اليوم اختلف الوضع حيث أصبح المزورون معروفين بالاسم ومع ذلك لا يقترب منهم أحد، وذلك عائد لتردي الأوضاع الأمنية بعد أحداث يناير إلى جانب ضعف العقوبات المقررة في قانون حقوق المؤلف والملكية الفكرية، مشيراً إلى أن المزور يحصل على الكتاب بدون التكلفة التي يتحملها الناشر الأصلي من حقوق مؤلف وإخراج وتنفيذ ومرتبات وضرائب، إضافة إلى أن المزور يحصل من المكتبات على سعر هذه النسخ في الحال ولا ينتظر بيع النسخ مثل ما يحدث معنا.

وطالب خضر بتغليظ العقوبة لتكون رادعة للمزور والمطبعة قائلاً: "لازم القانون يبقى قوي والعقوبات مغلظة، يعني لو انت صادرت المطبعة المزور هيفكر ألف مرة قبل ما يعمل كده".

اتحاد الناشرين العرب وقصة تزوير الكتب:

محمد رشاد صاحب الدار المصرية اللبنانية ورئيس اتحاد الناشرين العرب قال إن انتشار الكتاب المزور كان من ضمن أسباب إعادة إحياء الاتحاد عام 1995 وقد كان أحد المؤسسين مع المهندس ابراهيم المعلم والأستاذ عدنان سالم من سوريا وسميرة عاصي من لبنان وآخرين، حيث ذهب وفد إلى لبنان على أساس وضع حد لهذه الظاهرة ثم تطرق الأمر للحديث عن اتحاد يستطيع أن ينظم المهنة فتم إحياء هذا الاتحاد الذي أنشئ بقرار من الجامعة العربية وصياغة القانون الأساسي له.

رشاد أوضح أن بؤرة التزوير في العالم العربي كانت في لبنان في المرتبة الأولى ثم الأردن ثم في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد أحداث يناير تفحشت وتضخمت في مصر في ظل الفوضى والظروف الأمنية، لافتا إلى أن هؤلاء المزورين عبارة عن عصابات مثل عصابات المخدرات وأنهم لصوص يتابعون حركة السوق وحين يجدون كتابا عليه طلب من القراء يأخذونه إلى المطابع والتي تتواجد في دار السلام والعمرانية وهما أكثر منطقتين تضمان مطابع "بير السلم".

وقال رشاد إن المشكلة في بعض مكاتب سور الأزيكية أنه فقد الميزة الأساسية له والتي تربينا عليها وهي حفظ ذاكرة مصر وبيع الكتب القديمة، مشيرا إلى هجوم بعض المثقفين والكتاب عليه حين تحدث عن دور تلك المكاتب في السور في تزوير الكتاب، مضيفا أنه طالب حين كان رئيسا لاتحاد الناشرين المصريين بمنع مشاركتهم في معرض القاهرة الدولي للكتاب لأنهم سيئون ليس للناشر المصري فقط لكن للناشر العربي والأجنبي، معربا عن أسفه من بعض المثقفين الذين يشترون الكتاب المزور وهم سعداء بسعره الزهيد، غافلين عن أن ذلك يؤدي لقتل الإبداع والفكر لأن الكاتب سيتوقف عن الكتابة.

رشاد لفت الانتباه إلى أن الخطورة الأكبر من تزوير الكتاب الأجنبي أن المؤلف الأجنبي لا يترك حقه ولو علم بوجود كتابه مزورا في مصر سيتوجه لحكومته التي تفرض عقوبات بدورها من خلال المنظمات الدولية التي تعطي منحاً لهذه الدول، فمن الممكن أن تمنع

هذه المنح كما حدث في الصين عندما اعتدوا على برامج الكمبيوتر، وكما حدث في كوريا أيضا، مندهشا من هجوم المثقفين عليه حين حصل على فتوى من دار الإفتاء تجرم تزوير الكتب قائلين له أنه يدخل الدين في الثقافة!

رشاد قال إن التزوير أحد الأسباب الرئيسية في تدني صناعة النشر، فالناشر إذا طبع ألف نسخة أو ألفين، فإن المزور يطبع 10 آلاف نسخة، مضيفا أنه قدم تعديلا لقانون حقوق الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 للعدالة الانتقالية طالب فيه بتغليظ العقوبة، موضحا أنهم بالفعل درسوه ثم حولوه لاتحاد الناشرين المصريين لتقدمه إلى مجلس النواب.

رشاد أشار إلى أن المزورين أشبه بالعصابات المنظمة وأنه في حالة مداومة مطابعهم يكتشف أن لديهم علما مسبقا بالمداهمة، لافتا إلى أن الكتاب لم يعد يباع في مصر فقط بل يصدر للخارج أيضا، مشيرا إلى أن واحدة من دور النشر صدرت 6 كوتنترات من الكتب المزورة إلى معرض المغرب في واحدة من دوراته، مضيفا أيضا أنه حين طالب بمنع دور النشر غير الأعضاء في اتحاد الناشرين من المشاركة في معارض الكتاب هاجمه المثقفون، رافضين لمسألة الإلزام بالانضمام للاتحاد طالما تحمل المنشأة سجلا تجاريا وبطاقة ضريبية قائلا في الرد على هذا القول: "ياسيدي بتنظم المهنة، يعني أنت إزاي متعرف إن واحد ملتزم والثاني غير ملتزم؟ على الأقل

يحمي الملكية الفكرية وحقوق المؤلف". مضيفاً أنه فترة رئاسته لاتحاد الناشرين المصريين قدم إلى الحكومة مشروع تحويل اتحاد الناشرين إلى نقابة، وأن المشروع في الاتحاد الآن ولا يعلم هل قدم إلى مجلس النواب أم لا.

وعن دور اتحاد الناشرين في مواجهة التزوير قال رشاد إنه منع أثناء فترة رئاسته للاتحاد المصري 3 ناشرين مصريين من المشاركة في معرض أبو ظبي وإلى الآن لا يشاركون.

رشاد تعجب من حجة بعض القراء من يشترون الكتاب المزور بأن غلاء الكتاب الأصلي هو السبب قائلاً: "هو الكتاب غالي تقوم تسرقني؟ دأمش منطق"، مضيفاً أن من يتضرر من ارتفاع سعر الكتب عليه أن يذهب إلى المكتبات العامة، مطالباً المثقفين بمطالبة الدولة بزيادة عدد المكتبات العامة وتزويد مكتبات المدارس من الإصدارات الجديدة، مشيراً إلى أن الدولة توقفت عن تزويد المكتبات منذ خمس سنوات تقريباً.

* * *

أحمد خالد توفيق: جعل الشباب يقرؤون!

أمام مستشفى الدمرداش في ميدان العباسية، قال موظف الأمن، وهو يشدد على مخارج الحروف: "مش هنا"، قائلاً بغضب وانصراف، بعد أن أكد أنني لست الأول. وأن هناك خمسة عشر شاباً سبقوني إلى السؤال عن تواجد جثمان الدكتور أحمد خالد توفيق في المستشفى من عدمه، قبل ذلك التوقيت بساعة، كتب صديق مقرب للروائي أحمد خالد، على فيس بوك، أن العراب قد مات، وأن جثمانه في مستشفى الدمرداش، وكانت كلماته إيذاناً بتحريك قراء الراحل، دون تنسيق مسبق، وبشكل عشوائي، إلى المستشفى، لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة.

تركض المكان ورحلت سريعاً للبحث في مستشفى آخر، بمحيط المكان، على الباب وجدت الروائي أحمد مراد يبحث هو أيضاً، في سيارته أكملنا الرحلة معاً، حتى عثرنا على الراحل في مستشفى عين شمس التخصصي، عندما وصلت إلى ثلاثة الموتى، وجدت شاباً يفترش الأرض في هدوء شديد، ليس بكاتب أو صحفي، وليس من أقاربه، اقترب مني قائلاً: "أنا من قراء دكتور أحمد، ما تعرفش هيدفونه إمتى؟"، دقائق قليلة وتوافد قراء الراحل، جميعهم كانوا يبحثون

مثلنا، عن جثمان الكاتب الذي صاحبهم أطفالاً، وقدم لهم جرعات من المتعة بين دفتي سلسلة "ما وراء الطبيعة"، مجموعة أدب الرعب الأشهر في مصر والوطن العربي، التي قدم الراحل نسختها الأولى عام 1992، يحكي أنه عندما حضر من مدينته طنطا إلى القاهرة بحثاً عن نشر كتابه الأول، وتوجهه إلى لجنة القراءة بدار النشر، رفضوه بالإجماع، تحطم الحلم للحظات أمام الطبيب الشاب، لكن الرفض لم يثنيه عن رغبته فعاد مرة أخرى، هنا أدرك أحد أعضاء لجنة القراءة أن ذلك الشاب يقدم صنفاً أدبياً غير معهود، وأنه يستحق أن يفتح له الباب، وقد كان.

وبعد ستة أعوام من الرحلة مع أدب الرعب، دشّن مجموعة من الشباب في مصر وبيروت وفلسطين موقعاً على شبكة الإنترنت بعنوان "متدى روايات"، اجتمع فيه محبو الراحل في كل الوطن العربي، بعد شهور اكتظ الموقع بالأعضاء والزوار، وبعد أعوام أصبح أكبر ورشة للكتابة على مواقع الإنترنت، دون قصد من أحد، فالجميع يكتب على المتدى، القصص، والأشعار، وفصول الروايات، التي استنسخت في أغلبها تجربة العرب، أحمد خالد توفيق، وبعد أعوام من ذلك التدريب غير المقصود، تحولت كتابات الإنترنت إلى كتب مطبوعة، وباعت تلك الكتب آلاف النسخ، ليستيقظ سوق النشر في مصر عام 2012 على حقيقة أن هناك قراء، وأن مقولة "6 دقائق متوسط قراءة العربي في السنة"، في حاجة إلى مراجعة، في ذلك العام تحديداً، ارتفع عدد دور النشر المسجلة في اتحاد الناشرين المصريين؛ من

260 ناشرًا إلى 700 ناشر، وجاوزت مبيعات الروائي الشاب أحمد مراد 100 ألف نسخة، وعام 2018؛ وصلت مبيعات رواية "الفيل الأزرق" لمراد مليون نسخة، بحسب مصادر من داخل دار الشروق.

سيل من الأرقام والبيانات يراودني، وأنا أتجول في أروقة المستشفى، أبحث عن أية معلومة عن موعد جنازة الراحل، ومتى سينقل جثمانه من القاهرة إلى مسقط رأسه في مدينته طنطا، في الممر رأيت الروائي الشاب أحمد العايدي، وتامر إبراهيم، هما أيضًا كانا من أبناء تلك المنتديات، قد أصبحا الآن من الكتاب الأكثر مبيعًا، العايدي عندما صدرت روايته الأولى "أن تكون عباس العبد"، حققت آلاف النسخ مبيعًا في شهور قليلة، لم يتخيل محررو الثقافة والنقاد في مصر أن رواية لكاتب لا يعرفونه باعت آلاف النسخ، يقولون: كيف ذلك والشباب لا يقرؤون، وتقرير التنمية البشرية الصادر عن منظمة اليونسكو في العام نفسه أكد أن العرب لا يقرؤون؟!!

في الطريق إلى طنطا، صباح الثالث من إبريل، لم يتوقف هاتفني عن الرنين، الجميع يسأل، أين سيصلون على جثمان الراحل، مئات الشباب اصطفوا أمام المسجد، في مشهد مهيب لم تشهده جنازة كاتب في القاهرة من قبل، وبعد الصلاة على الجثمان، أصر الشباب أن يحملوا نعش سيرًا على الأقدام حتى المقابر، غير أن أسرة الراحل أكدت أن المسافة تتجاوز بضعة كيلو مترات، النعش يجب أن يوضع في سيارة، أخذوه من أيديهم بصعوبة بالغة، قراؤه شبه منهارين، المسألة تجاوزت حد العلاقة بين قراء وكاتب.

تلك العلاقة لم تستوعبها الصحافة الثقافية في القاهرة، ولم يستوعبها النقاد، فأخذ أغلبهم يكتب على صفحات فيس بوك وتويتر، متسائلين باستخفاف عن ذلك الكاتب أحمد، الذي لا يعرفونه، ولم يقرأوا له من قبل، تساؤل إن بدا مستهزئاً من الوضع في ظاهره، فهو شديد الخطورة بالفعل، فالمشهد الثقافي الكلاسيكي في القاهرة يعجز عن رؤية آلاف القراء، الذين ظلوا يقرأون بإخلاص لذلك الكاتب على مدار 25 عامًا، مشهد يوحى بأن هناك عالمين متوازيين يسيران جنباً إلى جنب في القاهرة، لا يعرف أحدهما الآخر، العالم الأول هو عالم المثقف الرسمي، ابن التيار العام المسيطر على مشهد الأدب والكتابة في مصر، والذي يجب أن تحصل ككاتب على صك الاعتراف منه قبل أن تنطلق في عالم الكتابة والنشر، والعالم الآخر هو عالم مواز، تمرد على ذلك المشهد الكلاسيكي، وكان سبيل تمرده شبكات الإنترنت، التي لا يزال المثقف الكلاسيكي في مصر معترضاً عليها، يراها لهواً ولعباً، وغير ذات فائدة، حتى أن بعضهم كتب متحفظاً: كيف لكاتب ينشر أغلفة رواياته على فيس بوك محتفياً بها؟! معتبرين أن ذلك تقليل من شأن وعظم المكتوب.

شيّع محبو خالد جثمانه إلى مثواه الأخير، وأبى قرّاءه أن يرحلوا سريعاً، فظلوا يقرأون الأدعية أمام قبره، وأخذ أغلبهم يكفكف الدمع جاهداً، على الأب الذي رحل، ليس الكاتب فقط، وبعد أن أغلقوا عليه الباب، تركت إحدى قارئات الراحل ورقة صغيرة معلقة على قبره، كتبت عليها: "جعل الشباب يقرأون".

جنازة، النسبة الأكبر من حضورها قراء الراحل، الذين جاؤوا
مشيعين من محافظات مصر المختلفة، وبعض الكتاب الشباب الأكثر
مبيعاً في القاهرة، الذين أفقدهم الحدث توازنهم، فأخذ بعضهم
يصرخ في المشيعين، وهو يفسح الطريق للنعش في رحلته الأخيرة
إلى القبر.

* * *

ملحق

أحمد خالد توفيق

صديقي الروائي الشاب قابل طلبتي بالسخرية حين أعلنت عن رغبتني في إجراء حوار مع أحمد خالد توفيق، برر ذلك أن الرجل انطوائي يعيش في محافظة بعيدة عن القاهرة، لا يستمد أحمد خالد توفيق شهرته من ظهوره في وسائل الإعلام، لأنه نادر الظهور لكن حضوره على الرغم من ذلك ممتد في العديد من تفاصيل الحياة اليومية فهو سواء شئت أم أبيت كاتب في صدارة المشهد، يستند إلى حوار تميز موهبته في السرد وارتداد مناطق غير مطروقة على جمهور كبير منحه شعبية شبيهة بطقوس التتويج، وعن طريق صديق مشترك تمكنت من الحصول على موعد، هي المرة الأولى التي أسافر فيها إلى طنطا، لذلك قررت الذهاب باكرا عن موعد الحوار بعشر ساعات، فور أن وضعت قدمي فيها وجدت معهد الأحمدى الأشهر الذي خرج منه رجالات الفكر في مصر على يميني، ومسجد سيدي أحمد البدوي على يساري، والمريدون يجولون في كل مكان، لكنني مريد في محراب رجل آخر، كان وما زال محط أنظار الجميع، بين

محب ومهاجم، وكانت الأسئلة تتسارع في ذهني، أريد من خلالها أن أجد ترجمة لعالم هذا الكاتب، الذي يراه البعض قديسا، ويراه آخرون سببا في انهيار ثقافة أجيال متعاقبة، بسبب كتب الجيب التي لم تعد تفارقهم، فإلى نص الحوار:

• هل كان في ذهن أحمد خالد توفيق حين توجه في أوائل التسعينيات إلى المؤسسة الحديثة بسلسلة ما وراء الطبيعة أن يكون خلفك جيل كامل من الكتاب والقراء يرون فيك العراب الذي فتح لهم الطريق؟

- طبعا لا، أنا مجرد شخص حاول تقديم قصة مسلية لا تندم على ما أضعت من وقت في قراءتها، وكل هذه الألقاب التي يطلقونها أراها كبيرة، "أنا لما بسمع كلمة العراب دي بتخض"، وأقصى هدفي فيما أكتب هو أولا تسلية الناس مع إضافة قدر من المعلومات والقيمة الأدبية، وثانيا أسلي نفسي بما أكتب، أضف إلى ذلك أن من كانت تحركاته في الحياة قائمة على اعتقاده أنه نبراس الجيل والمعلم فاعلم أن مثل ذلك الشخص "عكاك" ولن يذهب لأي مكان.

• ظهورك كان في فترة توهج جيل التسعينيات وتمردهم على احتكار الأجيال السابقة للحركة الثقافية، لماذا لم تنضم لذلك الركب وفضلت كتب الجيب؟

- الفكرة أنه في ذلك الوقت لم تكن القراءة مثل الآن، فلم يكن أحد يقرأ في ذلك الحين إلا لنيل فاروق، ووجدت أن مثل ذلك

الطريق غير مطروق وواعد فقررت المضي فيه قدما، وأحب أن أطلق على هذه الفترة "عصر ما قبل عمارة يعقوبيان"، أما الآن فالقراءة أصبحت نشاطا شبابيًا مهمًا بل وجزءًا من مظهر الشاب العصري، لكن في الفترة التي بدأت فيها الكتابة كان من يشاهد وهو يحمل كتابًا ينظر له باستغراب "وياخذ طريقة للصبح"، لأجل هذا أردت استخدام عنصرا جاذبا من خلال هذه النوعية من الكتابة وفي نفس الآن تمتعني أنا أيضا ككتابة.

• لماذا كتابة الرعب بالذات؟

- جاوبت على ذلك السؤال كثيرا من قبل، الحكاية أن الخوف كان يملكني وأنا صغير ووجدت أنني حين ألجأ لكتابة الرعب أرى نفسي خلف المدفع وليس أمامه، ثم بعد ذلك وجدت أن ستيفن كينج قال نفس الكلام حين قال إن كتابة الرعب تحيطه بدائرة سحرية هو وأسرته فلا تقربهم الأخطار، فالمسألة لها بعد نفسي واضح، لكنني بدأت ككاتب قصة قصيرة ومتأثر جدا بتشيكوف وجوركي كما تأثرت في الرواية بديستوفسكي.

• البعض وجه لك الشكر لأنك كنت سببا من وجهة نظرهم في دفع جيل كامل من الشباب للقراءة، كيف ترى ذلك؟

- أرى أنني لا أستحق مثل ذلك الكلام، يظن البعض من أجوبتي أنني متواضع لكن الحكاية ليست كذلك، كل ما في المسألة أنني أعرف حجمي بالضبط لا أكثر ولا أقل، ولو تحدثنا عن المسؤول عن

دفع جيل كامل للقراءة فالإجابة ستكون نبيل فاروق ومن قبله محمود سالم، فقط الذي أضفته أنني عندما توجهت لمثل ذلك النوع من الكتابة حاولت أن أزيد من المحتوى الأدبي في الكتابة.

• لكن نظرة سريعة على انتشار أدب الرعب من حيث مستوى الكتابة والقراءة تؤكد أن أحمد خالد توفيق بالفعل موجود؟

- أخبرتك سابقا "العرش دا مش بتاعي"، أما فيما يخص "هوجة" الرعب التي ألفت بظلالها بقوة مؤخرًا فلست معجبا بها، بل قل "منفرزاني"، سابقا كانت هناك فترة توجه كل الكتاب الشباب لكتابة الجاسوسية، وأيضا قلد كثيرون من رسامي الكاريكاتير أسلوب مصطفى حسين في الرسم، الآن نجد كل من أراد الكتابة يكتب الرعب، وهذه مسألة مبالغ فيها لكنها ليست ذنبي، وهل ذنب مصطفى حسين أو نبيل فاروق أن قلدهما آخرون؟ إلى جانب ذلك فأنا لا أكف عن القول أن هناك أنواعا أخرى من الأدب، "أنا فعلا بدأت أزهد من الرعب من كثر إن الإنتاج كله بقى رعب".

• هل ترى أن هذا الجيل من كتاب الرعب قدم شيئا لهذا النوع من الكتابة؟

- لم أقرأ كل ما كتب في أدب الرعب، كما قلت أصبحت الكتب كثيرة جدا، مثلاً في معرض الكتاب الأخير كان كل من أوقع له نسخة من كتابي يعطيني نسخة من كتابه حتى أصبح لدي كم هائل من الكتب وهي مسألة مرهقة فعليا قراءة كل هذا الكم. حتى أن أحدهم أرسل لي

معاتبا برسالة يقول فيها: "أشكرك على اهتمامك وعدم قراءة عملي".
لم أعرف كيف أعذر.

• هل وجد أحمد خالد توفيق فكرة لكاتب جديد تصلح أن تكون
سلسلة كتابات جيب؟

- بالفعل هناك فكرة أعجبتني لكاتب شاب واعد، وأظن أنها
تصلح أن تكون سلسلة جيدة وربما بدأنا في نشرها مع المؤسسة
العربية الحديثة في معرض الكتاب القادم.

• إذن من الذين ترى أنهم بالفعل لهم بصمتهم في كتابة الرعب؟

- من الكتاب الذين أعجبت بكتاباتهم جدا الكاتبة سالي عادل،
وهي بالفعل تقدم "شغل عالي قوي" أيضا شيرين هنائي فهي تتميز
أنها تسعى لتنوع أفكارها في الكتابة، وبالطبع تامر إبراهيم، الذي من
شدة إعجابي به كان لي معه كتاب مشترك وهو كتاب "قوس قزح"،
فتجارب الكتابة كثيرة جدا، لكنها في النهاية ينتج عنها كتابة حقيقية
لا تتجاوز الـ 20٪.

• من يكتبون أدب الخيال العلمي يملكون إلى حد ما "تكنيك"
في الكتابة ويهتمون بالسرد أكثر من كتاب الرعب، هل هذه الرؤية
صحيحة؟

- لا يمكنني أن أجزم بهذه الرؤية، لكن كتابة الخيال العلمي
نستدعي من الكاتب نظرة عميقة للإنسانية ونظرة لما حققه الإنسان،

لذلك فكاتب الخيال العلمي تكون رؤيته وثقافته أشمل من كاتب أدب الرعب، أما كتابة الرعب فتتباين. مثلاً قرأت سلسلة لكاتب رعب يقول فيها "كنت واقف في البلكونة فنزل عليا خفاش خطفني". وأقصد هنا أنك من الممكن أن تكتب "رعب هايف" وممكن تكتب كتابة عميقة. أجاثا كريستي مثلاً تكتب قصة بوليسية لكنها راقية جداً.

• النقاد يرون أن أدب الرعب نوع "هايف" من الكتابة، هل هناك مقاييس لدراسة أدب الرعب؟

- لا توجد مقاييس لدى النقاد بصدد هذا النوع من الكتابة، فهم لا يملكون مسطرة يقيسون عليها نوعية هذا النوع، مثلاً قرأت مقالا لكاتب كبير يتحدث عن أدب الجاسوسية ولم يذكر اسم نبيل فاروق وهذا خلل فادح، وقرأت لآخر يتحدث عن الخيال العلمي وأدب نهاد شريف وأيضاً لم يذكر نبيل فاروق وهذا خطأ جسيم، وبالطبع لن يتحدث أحد عن أدب الرعب. وتأكيداً على انعدام المقاييس من الممكن أن تقرأ مقالاً يهاجم كتاباتي وفي نفس الصفحة ستجد مقالاً آخر يقول أنها جيدة جداً.

أيضاً توجد لمسة تعال في دراسة أدب الرعب، فهناك من يهاجم حتى دون أن يقرأ، لكن لا أستطيع أن أدين أحداً بالكلية لأن شكل القصص التي أصدرها يظهر عليها أنها خفيفة، ربما قريباً وجدنا مقاييس لدراسة ذلك الأدب في المرحلة القادمة خاصة حين نعلم أن هناك دراستين للماجستير عن كتب الجيب، ومع تعدد مثل هذه الدراسات ستوضح الرؤية أكثر.

مع الوضع في الاعتبار أن الرعب في النهاية نوع من الأدب له نفس مقاييس أي أدب آخر.

• هناك من يقول أن أحمد خالد توفيق ضيع جيلا بأكلمه بسبب كتب الجيب، كيف ترى ذلك؟

- لست مسؤولاً عن شيء، وليس ذنبي أنني كنت جيداً، لكن لا أستطيع أن أقول إن كل ما أكتبه ينفع لكل فترات العمر، فأنا أكتب لشريحة عمرية معينة ثم بعد فترة ينتقلون لقراءة نوع آخر من الأدب، ومع ذلك فقد حاولت في كتاباتي أن أنتقل لشريحة أعلى في مستوى الكتابة، إلى جانب أنني دائماً أسعى لفتح سكك جديدة للقراءة، حيث إنني أعتبر نفسي مثل مدرس الابتدائي الذي يظل مع تلاميذه ويوجههم لنوع الدراسة اللاحقة ولا يتركهم. قرائي يعرفون أنني لم أكف لحظة عن الكلام عن يوسف إدريس وطه حسين وتشيكوف وبرادبوري وجابريل جارثيا ماركيز.. إلخ. ماذا أفعل أكثر من هذا؟

• لماذا "موت" رفعت إسماعيل؟

- موت رفعت إسماعيل عائد إلى أن الأفكار خلصت، نعم حزن القراء على وفاته لكنه لو ظل قليلاً لهاجموه بقسوة، لقد اختفى رفعت في الوقت المناسب قبل أن ينقلب القراء عليه.

• هل هناك النية لعودة رفعت إسماعيل مرة أخرى؟

- رفعت إسماعيل مرحلة وانتهت لكن ربما ظهرت فكرة ما، حينها قد أعيده على شكل أنا وجدنا بعض مذكراته ونكتب من خلالها، لكن ذلك إن حدث فسيكون كتاباً كل عامين مثلاً. لا يعني عودة السلسلة.

• في تحقيق سابق نشر في جريدة القاهرة عن أدب الرعب حدث تراشق بالألفاظ بين كتاب الرعب وكتاب رافضين لهذا النوع من الكتابة، كيف ترد على ذلك؟

- ليس شرطاً أن يكون الأدب كله رعب، "حتى اللعبة كده هبتقى مملة"، لكنني لا أعتبر نفسي مسؤولاً وأكررها "ليس ذنبي أنني كنت جيداً"، لكنني أرى مثلاً أنه لم يكتب أحدهم "خيال علمي" من فترة طويلة فلماذا؟ لا شك أن الرعب جنى على أنواع أخرى من الأدب.

• هناك بالفعل كتابات خيال علمي وتحقق مبيعات؟

- أقصد بكتابة الخيال العلمي هنا أن يسبر أحدهم أغوار الجو الإنساني لكتابة الخيال العلمي، ما يحدث الآن أسميه أوبرات فضائية، حيث الحديث عن غزو الفضاء وأشعة الليزر والمريخيين، لكنني أريد مستوى إنسانياً معيناً في الكتابة حيث التعبير عن أزمة الإنسان، وذلك الجانب أراه في كتابة رؤوف وصفي. وهنا أقول لماذا لا يستكشف الكتاب ذلك النوع من الكتابة؟

• هل ترى أن هناك جرأة على كتابة الرواية؟

- بالطبع هناك جرأة على كتابة الرواية، صدرت لي رواية "يوتوبيا" وبعدها بثلاث سنوات صدرت رواية "السنجة"، يجب أن يعلم الشباب أن قرار صدور رواية مرعب، لكن أجد اليوم كاتباً ينشر رواية 400 صفحة ربما تكون أول محاولة أدبية له. تنشر دون أن يقرأها الناشر ثم يدشن لها صفحة على الفيس بوك دون أن يقرأها أحد ثم يكتب عنها

أحد النقاد في الصحف دون أن يقرأها الناقد، حتى أصبحت المسألة ظاهرة.

• هناك ظاهرة أخرى وهي اتهام الكتاب بسرقة روايات غربية ولم يسلم أحمد خالد توفيق نفسه من هذا الاتهام، ما تفسيرك لذلك؟

- قالوا إن "نادي السيارات" مسروقة من "حفلة التيس" وأرى ذلك كلاما فارغا. وقالوا إن "يعقوبيان" مسروقة من "ميرامار"، وردي على ذلك "كده هنهرج"، وواضح جدا من كثرة الاتهامات أن ذلك تصيد أخطاء والسلام. لكن هناك أعمالا بالفعل مسروقة لا جدال. فقط يغير الكاتب الأسماء داخل العمل.

• لكن هناك حديثا على أنك تشتغل على أفكار أعجبتك في روايات أخرى وليس سرقة بالمعنى الحرفي؟

- هذه تهمة لا أنكرها، أن أجد فكرة فأشتغل عليها، فهناك تيمة من الممكن أن تستحوذ على إعجابي فأشتغل عليها، المهم أن تكون المعالجة خاصة بأحمد خالد توفيق، يوتوبيا مثلا خليط من تيمات خيال علمي متعددة مثل تيمة "ما بعد المحرقة" و"المسابقات التلفزيونية ما بعد المستقبل" هل معنى ذلك أنها مسروقة؟ أما الحديث عن معالجة يوتوبيا فأتحداك أن تجد رواية تدور حول مستعمرة يخرج سكانها لاصطياد الفقراء ويضل اثنان منهما فيها، ولو فتحنا الباب لهذه التهمة فأى قصة فيها مصاص الدماء مسروقة من برام ستوكر أول من كتبها. أيضا اتهمت بسرقة فكرة من مسلسل أجنبي وعندما بحث

في المسألة وجدت أن تاريخ إنتاج المسلسل لاحق على تاريخ بداية كتابتي بخمس سنوات، ثم إن هناك تناقضا في المسألة، فكيف نتهم بسرقة أعمال هي في بلادها قوية ثم نتهم أيضا أن أعمالنا ضعيفة، "طب ما اللي هيسرق هيسرق العمل محكم مش مفكك".

• هل نفتقد للنقد البناء؟

- نحن نفتقد للنقد الموضوعي، سواء كان بناءً أو هدامًا المهم أن يكون نقدا موضوعيا يستند على أدلة وبراهين. عند الناس النقد البناء هو الذي يمتدحك فقط وهذا خطأ.

• كاتب الرعب حسن الجندي يسعى لأن تكون هناك رواية رعب نابعة من الثقافة المحلية بعيدا عن الزومبي والفمباير، لماذا لم يحاول أحمد خالد توفيق أن يصدر كتاب رعب نابعا من ثقافتنا؟

- رفضت ذلك لأنني وجدت مثلا أن الحديث عن الجن سوف يفسر تفسيرات أخرى، ففي رواية جونتنامو للكاتب يوسف زيدان حكى أحد شخوص العمل داخل الزنزانة أنه رأى جنيا، فرد عليهم أحد المساجين نافيا مسألة ظهور الجن في الزنزانة، فوجدهم في خطبة الجمعة يتحدثون عن أن منكر الجن يستتاب وإن لم يتب قطعت رقبته وبدأ الجميع في السجن يتجنبونه لأنه أنكر وجود الجن، بينما هو أنكر وجوده في الزنزانة. فلم أرد أن أصطدم بذلك الجانب، أما الكلام عن الزومبي والفمباير فهي ثقافة أخرى والتجوال بداخلها أكثر أريحية.

• لماذا لم تأخذ قرار أن تعيش في القاهرة؟

- الفكرة أن القاهرة صاحبة وكبيرة جدا، لكن في طنطا فلست في حاجة إلا لربع ساعة كي أصل إلى أي مكان أريده، أضف لذلك أن الاجتماعيات في القاهرة "هتخنقك"، الكاتب رجاء النقاش له مقولة أنه كلما حضر إلى المقهى وجد الأدباء يجلسون فيتساءل إذن متى يكتبون بل والأهم متى يقرؤون، أنا مقتنع بهذه العبارة، فالقاهرة نعم ستقربني من الفرص لكنها ستزيد ضغطي العصبي أيضا وتقلل من فرص إنتاجي.

• قديما قالوا أن أي مثقف كي ينجح يجب أن يحضر إلى القاهرة، هل ما زالت هذه الفكرة قائمة؟

- لا يزال الموضوع كما هو، فقط أنا كنت محظوظا حين وجدت ثغرة أمر منها، لكن لن ينجح كاتب إلا في القاهرة، ففي قصر الثقافة "قاعدين يقرأوا أعمال بعض، ويعملوا معارض لبعض". تخيل أن أمل دنقل لم يترك الصعيد ويتجه إلى القاهرة، هل كان سيعرفه أحد؟

• لكن ما حدث بعد ثورة يناير من نجاح أدباء خارج القاهرة يخالف ذلك.

- هؤلاء استثناء يؤكد القاعدة، ستجد في كل محافظة كاتباً واحداً تمكن من المرور، لكنك طالما كنت بعيداً عن "قهاوي وسط البلد" والحديقة الخلفية لأتيليه القاهرة فاعلم أن فرصك قليلة.

ففي بداياتي كتبت القصة القصيرة وكان صديقي د.رائف وصفي يعمل في مجلة صباح الخير، فأرسلت له قصة جيدة ليعرضها على رئيس التحرير، وحين عرضها عليه، قال له رئيس التحرير، أريد منك أن تقرأها في ثلاث دقائق، وعندما بدأ وصفي القراءة أمسك الرجل هاتفه وبدأ في محادثة آخر، وكلما هم وصفي أن يتوقف حتى ينتهي رئيس تحرير المجلة من مكالمته طالبه بالاستمرار، ثم بعد أن انتهى قال له الرجل "مش حلو". سيناريو العالي دائم التكرار، يكفي أن يعرف أحدهم أن فلانا من طنطا أو من محافظة أخرى حتى يقول إنها محافظات ليست على الخريطة. وأقصى ما يمكن الوصول إليه هو أن يصدر لك كتاب عن هيئة قصور الثقافة ليجد طريقه إلى المخازن ولا يسمع عنه أحد.

هناك مثلاً من الأقصر كاتب مذهب أعتمد أنه ديستوفسكي مصر بل أحسن كاتب ظهر في آخر عشرين عاما، وقد صدرت كل مجاميعه القصصية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة لكن رغم ذلك فقد حصلت على مجد أكثر منه، إنه الكاتب أشرف الخمايسي الذي حين قرأت رايته "منافي الرب" لم أصدق نفسي، وقلت: "الكتاب دا جاله من الفضاء الخارجي"، فهو مظلوم لأنه ليس من القاهرة، مواهب مذهلة مثل إبراهيم عبد المجيد وحمدى أبو جليل لو ظلوا في محافظاتهم لما عرفهم أحد، وأظن أن د.يوسف زيدان بدأ التوجه إلى القاهرة هو أيضا.

• قدمت شبابا لم يحققوا نجاحا وكانت أعمالهم ضعيفة، لكن تقديمك أعطاهم دفعة للأمام وجذب لهم الانتباه، هل كانت مسألة مجاملات؟

- أنا معجب بكتابة سالي عادل وكتابة ميشيل حنا وتامر إبراهيم لكن فيه كتب أخرى "كانت تدبّس" وكان هناك قدر من المجاملات، لذلك لم أقدم كتباً في آخر خمس سنوات وأعتذر لكل من يطلب مني تقديم كتابه. خاصة أن الأذواق تتباين.

على جانب آخر هناك شباب أخذوا أجزاء من محاورات بيننا على الفيس بوك ووضعوها على أغلفة كتبهم وهي محاورات شخصية. في إحدى المرات مثلاً أثناء مناقشة مع كاتب شاب كتبت له في منتدى ثقافي أنه يعرف ما يقوله. بعد فترة نشر ذلك الشاب كتاباً فيه أفكاراً اختلف معها جذرياً ووضع في بدايته هذه الكلمة، وكتبت بعد ذلك أن ذلك رأي في نقاش وليس رأياً في كتاب، وأن ذلك لا يعطيه صك أن يقوله في أي مكان.

* * *

أحمد مراد

الكاتب الأكثر إثارة للجدل، هو التوصيف الأنسب للروائي المصري أحمد مراد، بداية من روايته الأولى "فيرييجو"، مرورًا برواياته الأشهر، "تراب الماس"، و"الفيل الأزرق"، وهي روايات تدور في فلك الجريمة والكتابة البوليسية، ثم روايتي "1919"، و"أرض الإله"، التاريخيتين؛ حيث تدور الأولى حول أيام ثورة 19، والثانية تحكي عن رحلة خروج اليهود من مصر القديمة، وأخيرًا، روايته الأحدث، "موسم صيد الغزلان"، والتي كتب عنها قراء، على موقع القراءة الأشهر، "جود ريدز"، بأنها رواية تدعو للإلحاد؛ لمجرد أن بطل الرواية عالم ملحد.

الرواية التي تدور أحداثها في المستقبل، تحكي عن أب فقد طفلته في حادث إرهابي تبناه تنظيم "دافا"، دولة الإسلام في ألمانيا وفرنسا، وكان نتيجة مقتل طفلته تسربت شكوك إلى عقله في حقيقة وجود الله، ليبدأ الصراع بين العالم الملحد، وبطل آخر داخل الرواية، يحاول إقصاءه عن تلك الفكرة، وفي أثناء ذلك يستعرض الراوي رؤيته لمستقبل العالم، الذي سيطر عليه تطرف الجماعات الدينية، التي بدأت بتنظيم داعش، ثم انتقالها إلى أوروبا عن طريق تنظيم

دفعه. وتنتشر الإنحد بين البشر، نتيجة هروبهم من صورة الدين التي صرّده منتصرفون.

ورغم تجهلهم من المشهد النقدي والصحفي المصري لما يقدمه مراد. فقد زفت روايته "الفيل الأزرق" ضمن القائمة القصيرة لجائزة نعيمية لرواية العربية "بوكر"، وحصل منذ أسابيع على جائزة ندوة لتفوق، وهي واحدة من الجوائز الأدبية الأهم في القاهرة. ونسي يمنحها المجلس الأعلى للثقافة في مصر، بعد أن تم ترشيحه لجائزة من قبل أكاديمية الفنون؛ المؤسسة الفنية والنقدية لعريقة في القاهرة.

جريت حواراً مع الكاتب والروائي الشاب أحمد مراد، في محاولة لقرءة تجربته الأدبية، وإلى نص الحوار:

• رغم حصولك على واحدة من أرفع الجوائز الأدبية في مصر، بعد ترشيحك لها من قبل أكاديمية الفنون، لا يزال البعض ينظر إلى نوعية ما تقدمه على أنها كتابات "بيست سيلر" لا علاقة لها بالأدب، كيف ترى ذلك؟

- التفكير العبثي في منطقة "البيست سيلر" على أنه أدب "سيئ أو جيد" يجب أن ينتهي، وعموماً فظهور أي شيء مختلف دائماً ما يقابله رد فعل سلبي من الاتجاه القديم، ولا أدعي هنا أنني أمثل الاتجاه الجديد، فقط أشير لمسألة الضدية بين القديم والجديد، أتذكر حديثي مع أحد آباء الأدب الكبار في مصر، عندما قال إنه لا يرى ما أكتبه

أدبًا إطلاقًا، مشيرًا إلى أن ما يقدمه ليس مما يعرفه وتعلمه على يد نجيب محفوظ، مستطردًا: "لكن ذلك ما قاله أيضًا طه حسين عندما ظهر نجيب محفوظ، ذلك ليس أدبًا".

ولا أقصد هنا المقارنة، لكن أردت التذليل على أن الاتجاه الجديد دائمًا يحارب بشكل ما. بالطبع الحصول على جائزة التفوق مسألة أفخر بها بشدة، فهي اعتراف رسمي من وطني الذي تربيت فيه، ويقف خلفها العديد من المثقفين المكرسين، والتفاتهم لنوع جديد من المرشحين لهذه الجائزة هو تغير جذري كامل في فكر المشهد الثقافي المصري العام.

في النهاية أقول إنني لا أستطيع وصف "البيست سيلر" بالأدب الجيد أو السيئ، فقط هو نوع جديد ومفيد من التسويق للكتب كسلعة، مثل الفيلم والموسيقى، وهذا يعطي مؤلف الكتاب الشعبية والتواجد بشكل أكبر.

بالضبط كما يحدث في الجوائز، عندما يتم اتهام جائزة بوجود شبهة محاباة أو مجاملة، أيضًا يتهم "البيست سيلر" بذلك، فقد يتهم الناشر بأنه اشترى وجود إصداراته بقوائم الأعلى مبيعًا في المكتبات، نحن لا نخوض في الاتهامات، لكن في النهاية، الأصل في المسألة أن التواجد في قائمة "البيست سيلر" بطرق غير مشروعة لن يستمر طويلًا، فاستمرارية الكتاب لفترة طويلة في قائمة الأعلى مبيعًا عائد لحب القارئ لذلك العمل.

• وجه المشتغلون بالثقافة في القاهرة انتقادات شديدة إلى لجنة تحكيم جائزة الدولة للتفوق نتيجة حصولك عليها، وامتلات صفحات "السوشيال ميديا" بكتابات العديد من النقاد والأدباء ومحوري الثقافة الراضين لحصولك على الجائزة؟

- لا أملك صفحة "فيس بوك" شخصية، لكن قرأت جميع المقالات النقدية التي تناولت خبر حصولي على جائزة التفوق، واهتمامي بقراءتها؛ لأنه ربما كانت هناك مسائل غائبة عني، ومن المفترض معرفتها، وفي النهاية، تعودت دائمًا على النظر أمامي، عندما أقود السيارة لا أنظر بجانبني، فقط أنظر للأمام، وعدم الالتفات هنا لأي مؤثر خارجي ليس تعاليًا، ولكن القصد هنا، أن أي فكرة هدامة ستجعلني أشك في نفسي، أو في مشروعني، دائمًا ما أضعها جانبًا، حتى أستطيع استكمال طريقي بشكل سليم.

أضف إلى ذلك سؤالاً مهمًا: ما الذي يبقى في النهاية؟ عندما ننظر اليوم لمشروع كاتب من أعلامنا الكبار الراحلين، ماذا تجد؟ تجد أعمالهم راسخة، تجد التحليل الحقيقي المكتوب بنقد حقيقي يحتوي دراسة فعلية، وكل ما تم توجيهه إليهم في حينها من سباب لن تراه الآن، ربما يتم تناقله عنهم من باب الإشاعات التي دارت حولهم، ففي الوقت الذي ينشغل فيه أحدهم بكتابة مقال عني، وكيف أنني أستحق الجائزة من عدمه، أفكر في الرواية الجديدة، وفي سيناريو الفيلم الجديد.

• تواجدت بروايتك الأشهر "الفيل الأزرق" في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر"، وحصلت على جائزة البحر الأبيض المتوسط للثقافة عن رواية "فيرتيجو"، وفزت بجائزة الدولة للتفوق عن مجمل مشروعي الأدبي، ورغم ذلك لم نرَ دراسة نقدية إيجابية واحدة تناولت أدب أحمد مراد بعد 6 روايات قدمتها خلال رحلتك، وثلاثة سيناريوهات للسينما، وعمل تلفزيوني، فكيف تفسر ذلك؟

- الموضوع ببساطة أنني أرى أن دور الناقد حدث فيه خلل، فهو نفسه أخل بمعاييرهِ في فهم الأعمال. بداية، ما هو دور الناقد؟ الناقد هو راصد للحياة الأدبية في صعودها وهبوطها، وبما يحدث فيها، والمقارنات الموجودة، ويؤرخ لما هو موجود، بالتالي كقارئ، عندما أقرأ تلك الدراسة، أستطيع فهم تركيبة أي كاتب في الكتابة، وليس هدف الناقد أبدًا لا التراشق، ولا تزايد عدد (اللايكات) على "فيس بوك" لمقالاته، لكنني أرى حالة من التوحش والنهش التي حدثت ما بين "السوشيال ميديا" والصحافة الإلكترونية في الفترة الأخيرة، ساهمت في خروج الناقد بعيدًا عن إطاره المفروض، من البحث الجيد، والتحليل الجيد، دفعه للبحث عن "اللايكات" الأكثر، والبحث عن هجوم أكثر على مقالاته؛ حتى يُقرأ بشكل أكبر.

أيضًا سعى بعضهم لجعل نفسه قبلة يجب أن يمر عليها الكتاب؛ لجنة شرطية، وإلا "يهبش"، فتصبح حوله حالة من الرهبة، ويبدأ جزء

من الكتاب في الابتعاد عنه وتجنب غضبته، وجزء آخر يحارب الناقد ويدخل معه في تراشق واتهامات، وفي الحالتين، الناقد مستفيد بشعبية على المنصات الإلكترونية.

يتشابه في تلك الحالة أيضًا ما حدث في الصحافة، فالنقد ليس صحافة، فما حدث أن الناقد دخل إلى منطقة الصحافة وأصبح مثل "بعض الصحفيين" المطالبين بصنع حالة من الجدل طول الوقت، فهو لم يعد مهتمًا بتقديم مقال متزن، لكنه يبحث عن مقال له عنوان مثير يصنع لغطًا ويجذب الكاتب للدفاع عن نفسه.

• لم تسلم من الهجوم في جميع رواياتك التي أنتجتها، واتهمت دائمًا بسرقة أفكارها من دراما أجنبية، بداية من "الفيل الأزرق" مرورًا بـ "أرض الإله"، وأخيرًا "موسم صيد الغزلان". وفي كل مرة لم يقدم أحد ممن اتهموك دليلًا يثبت ذلك، ولم يقاضك أحد؟

- عندما اتهمت بسرقة رواية "الفيل الأزرق"، التزمت الصمت مدة أسبوع، فضّلت أن أشاهد من بعيد لأرى ما الذي سيحدث، حتى بدأت في قراءة ما يكتب على "فيس بوك"، لأجد رسائل من عينة "صباح الخير يا حرامي"، "صباح الخير يا بن الكذا"، "كنا فاكريتك محترم وطلعت مش محترم.. اتخدعنا فيك". ثم انتابني حالة من الضحك لسبب، أنني ذكرت في الرواية مصدرها من كتاب الجبرتي، والجبرتي طبعًا موجود من قبل الفيلم الأجنبي. وأصدرت بيانًا وضّحت فيه ذلك، فرد الشخص الذي شتم قائلًا: "أهورد أهو، وداد دليل إنه سرق"، حينها

شعرت أن متابعتي لذلك ابتذال، فجزء من طبيعة البشر هي تمسكهم بالإشاعات ورفضهم التفسير المنطقي للأشياء، لأنه يبدو أقل بريقًا، فنحن نبطئ السيارات أمام مشهد حادث مميت، ولا نكثر لشاب اخترع جهازًا لتنقية مياه البحر بسعر رمزي!

عندما حدثت أزمة "الفيل الأزرق" قبل تقديم الفيلم في دور السينما بشهر، وكتب صحفي أنني سارق للعمل، حاولت دراسة أبعاد موقفه، فوجدت أنه سعيد جدًا بتلك الحالة التي أحدثها، إلى جانب ذلك، فهناك ما يسمى في الدراما بالتيمة، ومن يكتب يجب أن يعرف أولاً ما معنى تيمة، وتناص، ونقل، واقتباس، أو مجرد نسخ عمل من عمل آخر، كل ما أريده فقط ممن يتحدث أن يتبع منهجًا علميًا، ويقوم برفع قضية على أحمد مراد، ونقارن في المحكمة بين النصين، وذلك ما قمت به بالفعل في تلك الأزمة، عندما خرجت إحدى الجرائد المصرية وكتبت في مساحة نصف صفحة، "أحمد مراد حرامي". كان هناك سب وقذف علني في نصف صفحة، على إثر ذلك وجهت لهم إنذارًا قضائيًا، فراجعوا عن المقال، ونشروا اعتذارًا على مساحة أقل بكثير جدًا من المساحة التي خصصوها للسب والقذف، والإنذار الذي وجهته هنا كان بسبب خوفاي من تعرض شركة الإنتاج التي تقدم أفلامًا من تأليفي لأي ضغط، لأوضح لهم أنني أثق في كتابتي، فدائمًا عندما أبدأ في تجربة كتابة جديدة أشاهد جميع ما كتب وقد يكون على مقربة منها حتى أكتب شيئًا مختلفًا.

• حققتَ تواجدًا كبيرًا بين القراء، ورواياتك هي الأكثر مبيعًا في مصر لسنوات، وفيلمك الأول في السينما حقق أرباحًا ضخمة، لكن، هل تشعر أنك حصلت على ما تستحقه ككاتب، على المستوى النقدي؟

- من أفضل الجوائز التي حصلت عليها كانت مناقشة تليفونية مع الأستاذ مصطفى بيومي، بعد أن أنجز مؤخرًا كتابًا عن حركة الأدب في مصر وقال: "بدأت الكتاب بنجيب محفوظ وأنهيته بك"، عندما يتم تناول كتاباتي من شخصية بحجم مصطفى بيومي، فتلك جائزة، كذلك تناول كتابتي الكاتب والناقد أ. محمود عبد الشكور في كتابه "أقنعة السرد" رواية 1919 بالتحليل والنقد، وغيرهم من الأسماء التي تعد على أصابع اليدين، باختصار، أنا لا أنتظر حقًا من أحد، فحقي أحصل عليه بالفعل من قارئ لرواياتي، أو مشاهد لأفلامي، فالاعتراف من جهة ما ليس بذي أهمية كبيرة لدي، هي مجرد ورقة أحترمها، إن جاءت سوف تسبب سعادة، والدولة عندما تعترف من خلال جائزة التفوق أن مسيرتي الأدبية خلال تلك السنوات قدمت فيها عملاً جعلني متفوقًا في ذلك المجال، وأنني ساهمت في وضع لبنة في جدار الثقافة للقارئ قبل المتخصص، فأنا في قمة السعادة، وذلك بمثابة تاج على رأسي.

• لماذا لا نضع في الاعتبار أن النقاد ربما كانوا على حق، وأن ما يقدمه مراد ليس أدبيًا؟

- سوف نعرف بعد سنين طويلة. عموماً أنا أحترم كل من وجه نقدًا لما كتبت، سواء بالسلب أو بالإيجاب، لكن غدا سيأتي جيل بعد رحيلنا جميعًا، ويقول هل كان ذلك الكاتب يقدم أدبًا جيدًا، أم أنها كتابات غير جيدة، وأن المحيطين به قدروه بشكل خاطئ، وبالنسبة لي فأنا متقبل ذلك، لأنني أولاً لن أكون موجودًا، وثانيًا فأنا غير مهتم.

• كيف تستطيع أن تكتب، وتستمر في الكتابة، حتى وصلت إلى الرواية السادسة، وسط تحفظ نقدي على ما نشره؟

- أهتم عادة بالنقد المفيد، لكن من يكتب لأنه يريد أن "يشتمني" أقرأ مقالاته لأعرف حدود الكراهية وإلى أين وصلت. في البداية كانت المسألة تسبب لي ألمًا نفسيًا، خاصة عندما يكون النقد شخصيًا ويتعد عن النص، وبالتالي يصبح مجرد تجريح، فهناك اتهامات بأنني دخيل على عالم الأدب، وأن ما أكتبه نص شعبي، وهدف كتابتي كثرة المبيعات، وكأن "البيست سيلر" من اختراعي. لا شك أنني سعيد لبدايتي في دار ميريت، وهي مختبر مهم للأدب الجديد في مصر، فهي دار يعلم الجميع حسها الطليعي الذي يفرز الأدب ويستكشفه بشكل جيد وجريء، ثم انتقلت إلى دار الشروق المعروفة بتاريخها الأدبي العريق، ثم حصلت على جوائز دولية ومحلية، بالإضافة لحب القراء وتفاعلهم، تلك كلها تعد مراحل من الفرز والغربة التي أجدها مفيدة لرؤية وتصحيح اتجاهي الأدبي طول الطريق.

• لكن ليس كل ما يكتب يعبر عن الكره؟

- بالطبع لا، فالنقد الذي أستفيد منه مادة مشبعة جدًا كي أتحرك للأمام، وهناك أدباء أستفيد من تجاربهم، أنظر إلى ما يعجبني عندهم، وأسأل، لماذا لم أفعل مثله، فأنا لا أدعي أن ما أقدمه أفضل شيء، لكن في النهاية يجب التفرقة بين النقد البناء والهدام.

• لجأت في "أرض الإله" للتعامل مع منطقة تاريخية ملتبسة وأنت كاتب معروف، في حين أن أغلب من يتناولون هذه المناطق هم كتاب من الظل يفعلون ذلك بغرض الإثارة ولفت الأنظار إليهم، لكن في حالة كاتب ناجح ومتحقق مثلك تبدو المغامرة أكبر؟

- هناك أسباب دفعتني لخوض هذه المغامرة، فقد لاحظت أن هناك ازديادًا شديدًا لتاريخنا، نتعلمه في مدارسنا فقط لوضعه في أوراق الامتحان، كما أن أبناءنا على جهل بتاريخنا، على سبيل المثال: أحضر طفلًا ألمانيًا واسأله من أحسن؟ سيحكى لك تاريخك بالكامل، كتب المصريين أغلبها كتبها ألمان وإنجليز، والأغرب من بين هذه الاتهامات أن يقال لك أنت تحاول بروايتك تنقية تاريخ مصر القديمة من الوثنيات! وكأن هؤلاء صعب عليهم أن يكتشفوا أن لهم تاريخًا عريقًا أسهم في تقدم حضارات العالم. هنري بريستد عندما سطر كتابه "فجر الضمير" قال إننا أسسنا أهم اختراع في العالم: "حقوق الإنسان".

• هناك شعور عام بأن رواية "1919" تم استقبالها بطريقة مختلفة عن الروايات السابقة. فهل كان ذلك بسبب تغيير الوصفة؟ بمعنى

آخر كيف تنظر لفكرة الجمهور؟ ذلك أن أي كاتب صاحب جمهور دائماً ما يضع جمهوره في الحساب، على عكس الكاتب المغمور أو المجرب القادم من المجهول؟

- أحب الناس كتابتي، لأنني جازفت، فكيف أتوقف عن المجازفة بعد نجاحي. مثلاً رواية "فيرتيجو" صدرت نهاية 2007، كانت تحمل شيئاً من المغامرة، فكيف حين أنجح أتخلي عن المجازفة؟ في هذه الحالة أصبح فقط مجرد شخص يريد أن يحافظ على رفوف المكتبات و"البيست سيلر"، دون الاهتمام بما أريده أنا ككاتب. الناس أصبحت تعرف مراد وتشترى رواياته، إذاً فلنجرّب، تعال لنر مناطق جديدة، حتى لو لم يأت ذلك على هواك، ما ترفضه اليوم ربما تقبله في الغد. ويكفي أن تعرف أن رد الفعل على رواية "1919" الآن ونسبة المبيعات هي الأعلى بين كل رواياتي.

• الخط التاريخي الذي تميزت به أعمالك السابقة خصوصاً "1919" و"أرض الإله"، لم نره في رواية "موسم صيد الغزلان"، بعد أن انتقلت إلى عالم المستقبل في روايتك الأخيرة، ما سبب التغيير الآن، ولماذا اخترت رواية "الديستوبيا" تقنية جديدة تستخدمها؟

- بداية أختلف معك في أن الرواية هي من نوع "الديستوبيا" بمعنى أدب المدينة الفاسدة، ف"موسم صيد الغزلان" رواية تدور أحداثها في مستقبل تم كتابتها بعناية "وببحوث علمية" ليقترّب من المستقبل الحقيقي الذي قد نراه بعد 45 عامًا من الآن، فلا هو يوتوبيا مثالية ولا ديستوبيا لمدينة مظلمة، فقط هي رؤية لما ستؤول إليه

حياتنا التي ألقينا بذرتها اليوم، بتوحشها وجمالها. أما عن اختياري المستقبل فليس هناك فرق عندي بين ماضٍ وحاضر، فالحاضر يصير ماضيًا مع عقارب الساعة وكذلك المستقبل، بمعنى أنني هنا أستشرف "تاريخ المستقبل"، وهو فقط إطار زمني يضع الشخصيات في ظروف ومعطيات تساعد في بناء القصة وتضفي روح الإثارة على الأحداث.

• لماذا فضلت أن يكون بطل روايتك "موسم صيد الغزلان" عالمًا ملحدًا، حيث دارت أحداث الرواية بالكامل في ذلك الإطار؟

- الإلحاد ليس شيئًا نتوارى منه الآن ونعتبره غير موجود، فهو فيل في غرفة ضيقة، وبالتالي فالملحد شخصية مؤثرة في العالم الذي نعيشه، لماذا لا يتم تناولها؟ خاصة أن وجهة نظري ترى الملحد أكثر الأشخاص المهووسين بفكرة الإله والبحث عنه، وإلا فلماذا يلقي بالآ بالجدال والحديث لتبيان وجهة نظره وتوضيحها، والبحث والتنقيب حول الفكرة، أنا أجد الملحد شخصية درامية جريئة مثيرة؛ لأنها تواجه أشد قناعاتنا صلابة بصدر مفتوح، وهي موجودة ومتحققة ولها تأثير على المستوى العالمي.

• هل ذلك الاختيار إسقاط على انتشار ظاهرة التخلي عن الأديان في العصر الحالي، وهل معالجة القضية في زمن المستقبل تأتي تجنبًا لأي جدل قد يثار إن جعلنا زمن الرواية في العصر الحالي؟

- الدراما الروائية الجيدة قائمة على المبالغة، ولا أعني هنا مبالغة الأفلام الهندية، بل المبالغة القائمة على تحفيز خيال القارئ ليعيش تجربة لا تخطر على باله، بمعطيات يعرفها ويفهمها ولكن لا يدرك

نتائجها، لذلك اخترت المستقبل لنرى من خلالها ونتعاش ونتخيل إحساسًا عامًا بفقد الإله كفكرة، ماذا سيحدث؟ كيف سيتعامل البشر؟ لأترك للقارئ فرصة التفكير والبحث عن إجابات.

• تحدثت عن تنظيم دافا الإرهابي، اختصارًا لدولة الإسلام في ألمانيا وفرنسا، على غرار تنظيم "داعش" دولة الإسلام في العراق والشام، فهل ترى أن الإرهاب سوف يستمر وينتقل إلى أوروبا؟

- للأسف أعتقد ذلك؛ فاليئة الأوروبية وجوانب الشخصية الغربية عامة تعد مادة خصبة للشخصيات المضطربة المتطرفة أكثر من المدن العربية التي استنزفت مقدراتها وشعوبها، والواقع يقول إن هناك تزايدًا للهجمات الإرهابية في فرنسا وألمانيا وبأن الوضع يسير من سيئ إلى أسوأ. تلك الكيانات ستحفر لنفسها جحورًا في الجسد الأوروبي ببساطة بسبب قلة الخبرة في التعامل الأمني، وعلو قدر الضحية الأوروبية ومدى تأثير موتها مقارنة بالعرب على المستوى الإعلامي، فهم يدركون أهمية الصدى المرعب في تأكيد سيطرتهم.

• هل تنظيمات مثل القاعدة وداعش تساعد على انتشار الإلحاد والتخلي على الدين؟

- بالطبع، فلكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الاتجاه، فحين أرى تطرفًا دينيًا يجعل من كلام الإله أوامر للقتل والحكم والسيطرة على الشعوب، أدرك تمامًا أن هناك نفورًا على الجانب الآخر من فكرة الإله ككل، فلأسف كل طرف يضع الإله خلفه أو أمامه في معركته الإنسانية مع الآخر.

• حصرت المستقبل بين تفشي ظواهر التطرف وتعدد تنظيماته، إلى جانب انتشار الإلحاد وتدريس نظرياته بكل تلقائية في الجامعات والمعاهد العلمية، هل نعتبر أن ذلك توقعك للمستقبل؟

- توقع مبني على حقائق وأبحاث علمية وآراء مفكرين مؤثرين وعلماء في طبيعة البيولوجيا الإنسانية وعلم النفس، ولكن في النهاية يجب أن يلتفت القارئ إلى أن الرواية تقوم في الأساس على كسر النمط الحياتي الطبيعي والشذوذ عن الأحداث العادية، هل هناك رواية قائمة بدون مشكلة؟ بدون صراع؟ بدون أزمة؟ بالطبع لا.

* * *

أشرف العشماوي

"قل لهم يا حضرة الوكيل أن يقرؤوا هذه الروايات لمصلحة المجتمع أيضًا"، بهذه العبارة توجه نجيب محفوظ إلى وكيل النائب العام أثناء التحقيق معه في قضية محاولة اغتياله من قبل الجماعة الإسلامية، أكتوبر 1994، أصر نجيب أن يهدي قاتليه نسخًا موقعةً من أعماله، ربما أدركوا حجم الخطأ الذي ارتكبوه، لكن اللافت للانتباه أيضًا في ذلك الموقف أن المحقق في القضية، المستشار أشرف العشماوي، اتجه هو أيضًا لكتابة الرواية، بعد قضية محفوظ بأعوام، لينشر أولى رواياته عام 2012، تحت عنوان "تويا"، وزاد على ذلك أنها نافست على الجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر"، ضمن القائمة الطويلة.

15 عامًا قضاها أشرف العشماوي وكيلًا للنائب العام بنيابة أمن الدولة العليا، بدأها أوائل التسعينيات، فترة ذروة العمل المسلح للجماعات الدينية المتطرفة في مصر، وساهم ذلك في عمل العشماوي على أشهر قضايا الإرهاب ومحاولات الاغتيال، بداية من محاولة اغتيال وزير الإعلام المصري صفوت الشريف، مرورًا

بمحاولة اغتيال نجيب محفوظ، ومحاولات اغتيال الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك، وصولاً إلى حادثي طابا وشرم الشيخ. وبين رحلة القاضي والأديب، كان لي هذا الحوار مع الكاتب والمستشار أشرف العشماوي:

• التحقت بالعمل في نيابة أمن الدولة العليا في ذروة صعود خطاب العنف الديني، ومحاولات الجماعة الإسلامية للسيطرة، فما أهم القضايا التي حققت فيها، وكان الطرف المدان عضواً بالتنظيمات الدينية المتطرفة؟

- لا يمكنني حصر عدد القضايا التي عملت بها في مجال الإرهاب، فقد استمر عملي بالنيابة قرابة 15 عاماً تقريباً متصلة، حققت في كل قضايا الرأي العام وقتها؛ حققت في أغلب قضايا الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد المصرية، استجوبت كثيراً ممن قاموا بارتكاب حوادث إرهاب؛ سواء قتل ضباط، أو قتل سائحين أجانب، أو محاولات اغتيال مسؤولين كبار، مثل: عاطف صدقي، وصفوت الشريف، وحسن الألفي، وغيرهم، كنت أعمل 14 ساعة يومياً، وتقريباً لا إجازات، اللهم أسبوعاً في العام لو أمكن، حققت مع عبود الزمر في السجن لاتهامه بتكوين خلية من داخل سجن "طرة" لمن سيفرج عنهم قريباً، لن أنسى يوماً لما رأيت عشرات الشباب من المسجونين والتابعين لجماعة الجهاد يصطفون أمام شبابيك العابر لرؤية زعيمهم وقائدهم، وهو يتريض بفناء السجن لمدة نصف ساعة،

شعبية طاغية وقوة تأثير هائلة، للأسف، لم توجه في الاتجاه الصحيح، لأسباب كثيرة، ربما لم يحن بعد ذكرها بالتفصيل.

• كنت المحقق في محاولة اغتيال الراحل نجيب محفوظ عام 1995، هل تذكر تفاصيل تلك القضية؟

- بالطبع، في هذا اليوم المشؤوم، الثامن عشر من أكتوبر 1995؛ انفعلت وتأثرت، وكأنها الحادثة الإرهابية الأولى، وغضبت وكأن المجني عليه أحد أقاربي، كنت في مستهل عامي الرابع في النيابة العامة، وتواجدت في مكنتي بالتزامن مع الحادث بالمصادفة، عندما أبلغني ضابط بمديرية أمن الجيزة باغتيال نجيب محفوظ، هكذا كان الخبر في بادئ الأمر قبل تصحيحه بعدها بقليل إلى محاولة اغتيال، في البداية لم أصدق، رغم أن دماء فرج فودة لم تبرد بعد، لكن السؤال الذي قفز إلى ذهني وقتها: لماذا نجيب محفوظ؟!

لم أربط الحادث بروايته الأشهر "أولاد حارتنا"؛ ربما لأنها لم تصدر في طبعة مصرية، ولم يكن يعرفها إلا المهتمون بالقراءة، وكانوا قلة وقتها، مع أن هذه الرواية من أهم حيثيات المحرضين والقتلة في حادث نجيب محفوظ، رويدًا رويدًا، بدأت الصورة تتضح، وخلال أيام قليلة كنا نستعد لاستجواب عشرات المتهمين؛ ما بين منفذين ومخططين ومحرضين، وأعضاء في تنظيم الجماعة الإسلامية؛ التي أفتى أميرها، عمر عبد الرحمن، وقتها بإهدار دم نجيب محفوظ، بسبب رواية "أولاد حارتنا"، التي أكاد أجزم عن يقين بعد التحقيقات،

أن أحدًا منهم لم يقرأ سطرًا واحدًا منها، بل ربما لم يقرأ أي منهم لمحفوظ أصلاً.

• ما هي اعترافات المتهمين في الأيام الأولى من التحقيقات، وهل بالفعل المتهم بمحاولة اغتيال نجيب لا يقرأ ولا يكتب؟

- في الأيام الأولى للتحقيقات؛ كنت أتولى استجواب أحد المتهمين المنفذين، ومعرض، ومتهم ثالث كان عضوًا عاديًا في الجماعة الإسلامية، الأخيران كانا قد أنكرا تمامًا التهم الموجهة إليهما، فالتفت عنهما، ووليت وجهي شطر الأول، الذي نفذ الحادث، كان شابًا نحيلًا أصفر الوجه، أمرد، في بدايات العقد الثالث من عمره، قصير القامة، توحى ملامحه بالبؤس، وتشى جبهته بضيق الأفق، كان قليل الحديث، لكن لما تكلم أيقنت أنني أمام شخص أجهل من دابة، ضحل وفارغ حتى في أصول الفقه؛ بل وفي الدقائق التي يدركها كل عضو في تنظيم الجماعة الإسلامية في خطواته الأولى نحو التطرف، وهو ما جعلني أعتقد أكثر في شكوكي، بأن تلك الجماعة لا تضحى بأعضائها البارزين في هذه النوعية من العمليات.

روى لي المتهم؛ أنه لم يحضر الاجتماع التنظيمي الذي تقرر به إهدار دم نجيب محفوظ؛ إنما تلقى التكليف بالاغتيال من خلال أميره المباشر، المسؤول عنه في مجموعته العنقودية، الذين لا يعرف سواهم، حدد له الأمير في التكليف من سيشاركة، والوسيلة المستخدمة في القتل، ووسيلة الانتقال، وخطة ومكان التنفيذ والهروب بعد ذلك، استغرق رصد تحركات نجيب محفوظ أقل من

شهر؛ فهو شديد الانضباط، روتيني للغاية، تكاد تضبط ساعتك على تحركاته، فلما يتقنوا من معاد الندوة الثابت، وعدم وجود أشخاص بصحبته عند مغادرة منزله سوى فتحي هاشم، اختاروا أن يكون التنفيذ عند مدخل بيته بالعجوزة، في موعد خروجه للندوة، كانت الوسيلة سلاحاً نارياً (مسدساً)، لكن يومها ارتبك القاتل بسبب زحام المطعم الملاصق لمدخل بيت نجيب محفوظ، فتردد في إطلاق النار، فأخرج مطواة قرن غزال لا تفارق جيبه، واقترب من محفوظ وذبحه وهو ينطق الشهادتين بعد البسملة.

• استوقفني نطق الإرهابي للشهادتين بعد البسملة أثناء ذبح محفوظ، هل هناك تفسير لذلك التصرف؟

- استوقفني تلك النقطة من أقواله، وسألته عن مغزى نطق الشهادتين هنا: هل لأنه خاف أن يقتله المارة، فيكون قد نطقها، أم كان يلقيها لمحفوظ باعتباره كافرًا في نظرهم؟! فكانت إجابته بالثانية، هذا الشاب المغيب اعتقد أنه يحمل صكوك غفران؛ فتلا الشهادتين على مسامع محفوظ في اللحظة نفسها التي كانت يده تذبح رقبة الأديب العالمي، وكأنه حتى لا يريد منحه تلك الفرصة الأخيرة للتوبة، ومضى هارباً مع زميله على دراجة نارية، مقتنعاً أنه قتل الرجل.

واكتشفت من خلال التحقيقات أن القاتل يعمل "نجار مسلح"، إن لم تخني الذاكرة، وكان لا يعرف القراءة أو الكتابة، وخلال جلسة التحقيق الأولى كان يخطئ في اسم المجني عليه قائلاً: محفوظ

نجيب! لم يكن يعرف أية معلومات عن أدينا الكبير، سوى أنه كفر وكتب كتابًا يصف فيه الله بالبشر.

• بخصوص حديث النيابة مع نجيب محفوظ في المستشفى، ماذا كانت اعترافاته، وهل فعلاً أهدى المتهمين نسخًا من رواياته بتوقيعه؟

- بعدها بأسبوع، وربما أكثر قليلًا، كلفني المحامي العام للنيابة بالانتقال إلى مستشفى الشرطة، لسؤال المجني عليه "نجيب محفوظ"، بعد أن أخطرنا المستشفى بإمكانية سؤاله لمدة ساعة ونصف فقط، حتى لا يجهد، في ذلك اليوم كان بصحبته في الغرفة الأستاذ رجاء النقاش، ويوسف القعيد، ومحمد سلماوي.

في البداية؛ جلست أتحدث مع محفوظ في أمور عادية، عن صحته وأحواله وكتبه وجائزة "نوبل"، شعرت أن الكلام يهرب مني، وأني أريد أن أستمع لا أن أتحدث، كان محفوظ واهنًا ضعيفًا، لكنه مع ذلك ظل محتفظًا بابتسامته المشهورة، ربما كانت متوارية قليلًا، لكنها موجودة، شعرت يومها برغبة جامحة في ألا أضيع الوقت معه في التحقيق، خاصة أنني عرفت منه شفويًا، أنه لم ير القاتل، ولا يتذكر أي شيء، لكن بعد مرور ساعة تقريبًا، شعرت بتأنيب ضمير، وأنه لا بد لي من أن أسجل شهادته في التحقيقات، حتى لا أرهقه بزيارة ثانية.

فلما وجدني أتأهب لإعداد أوراقتي، قطع عليّ الطريق، وفاجأني قائلاً على استحياء ممزوج بمكر: "هو أنا ممكن أسأل حضرتك سؤال

ياحضرة الوكيل، ولا أنت بس اللي بتسأل هنا؟"، قالها وضحك، اقتربت منه وقلت له مبتسمًا: "إذا أردت أن تسأل وأنا أجيب، حتى في المحضر الرسمي، فلا مانع عندي على الإطلاق"، فبدأ يستفسر مني عن سبب محاولة قتله.

في البداية، راوغت وحاولت أن أستخدم تعبيرات إنشائية، مثل التي تستخدمها الصحف الحكومية وقتها؛ من نوعية الإرهاب الأسود، واليد الغاشمة... إلخ، لكن مع إصراره قلت له: "بسبب رواية أولاد حارتنا"، لم يندهش محفوظ، ربما لأنه كان يعلم من وسائل الإعلام وأصدقائه بأن ذلك هو السبب الظاهري، أو الشكلي، إنما بادرنى بسؤال آخر: وماذا قرأ المتهمون لي أو لغيري بخلاف تلك الرواية؟

أسقط في يدي بالطبع، لأنني لم أجرؤ نفسيًا وإنسانيًا أن أقول له أن المتهم لا يعرف القراءة أو الكتابة، لا أعرف إذا ما كنت على صواب أو خطأ، هل لأنني شعرت بعظمة وشموخ محفوظ، فرأيت ألا أخبره بحقيقة المتهمين الأتيين؟! لا أدري، لكن هذا ما حدث، لكن الرجل كان مصرًّا على معرفة الحقيقة، فظل يسألني، ليجد سببًا منطقيًا، من وجهة نظره، لمحاولة قتله، فلم يكن مقتنعًا بأن الرواية وحدها هي السبب، فأخبرته بما قاله المتهم في التحقيقات عن الدافع لارتكاب الجريمة؛ بأنها لمصلحة المجتمع في الخلاص من كافر حتى يرتدع غيره من الكافرين، فكان رد محفوظ على ذلك الكلام، أن أعطاني بعض رواياته، وطلب مني أن أهديها باسمه للمتهمين قائلًا: "قل لهم،

يا حضرة الوكيل أن يقرأوا هذه الروايات لمصلحة المجتمع أيضًا، وأعتقد أنه طلب من رجاء النقاش أن يكتب إهداءً على إحداها، ووقعه باسم نجيب محفوظ.

• 12 عامًا هي المدة الفاصلة بين تحقيقك كوكيل للنائب العام في محاولة اغتيال محفوظ، وتوجهك أنت أيضًا للكتابة كوسيلة للتعبير والبوح، ونشرت أولى رواياتك عام 2012، حدثنا عن ذلك.

- بدأت الكتابة تحديدًا؛ في نهايات عام 1997، واستمرت عملية الكتابة دون النشر حتى عام 2010، أي قضيت 12 عامًا أكتب دون الإقدام على خطوة النشر، أول رواية كتبت كانت "تويا"، ثم رواية "زمن الضباع" ثم "المرشد"، ثم "البارمان" عام 2010، وبدأت مشوار النشر مع الدار المصرية اللبنانية.

• في حوارات صحفية تحدثت عن دور الكتابة في تفريغ شحنات غضب بداخلك، كيف ذلك، ولماذا اخترت وسيلة الكتابة تحديدًا؟

- النموذج الأمثل لذلك رواية "زمن الضباع"، لم يكن لدي نية الرواية حين كتبتها، كانت أقرب إلى شحنة غضب داخلية، وضيق، وشخصيات عرفتھا وتعاملت معها على مدار أعوام كثيرة جدًا، جميعها شخصيات عامة، لها صورة معينة وانطباع لدى الناس، وهي في الحقيقة مختلفة عن ذلك الانطباع تمامًا، وأردت كتابة تلك الحكايات، أردت كتابته بحسّ صحفي، مثل التحقيق الصحفي الكاشف، الذي تكشف به الحقيقة، وذلك لأن وظيفة وكيل النيابة

قريبة جدًا من الصحفي الذي ينفذ تحقيقات صحفية، ومع بداية رغبتني في إخراج تلك الشحنة الغاضبة لجأت للرمزية، وذلك هو الأسلوب الذي يتخفى خلفه أي كاتب بسهولة، وكان الأنسب بالنسبة إلى تلك الشخصيات العامة التي تعاملت معها، البحث عن سبب غضبي من كل شخصية، ثم أرد ذلك إلى الحيوان المناسب لها، فقام البناء على وجود غابة افتراضية تعيش بداخلها مجموعة من الحيوانات، وعند استيقاظها صباحًا اكتشفت أن الأسد غاب عن عرينه، وتنازل عن الحكم، أو تم إقصاؤه، فحكم بدلًا عنه خرتيت.

لماذا الكتابة تحديدًا! مسألة لها أسبابها؛ عندما بدأت في الكتابة كنت في العقد الرابع، قبل ذلك كنت مجرد قارئ مستمتع بما يقرأ حبًا في المعرفة، بمرور الوقت، أصبحت القراءة جزءًا من روتين الحياة اليومية، ولم يخطر لي ببال أن أتحوّل إلى الكتابة، وحدث نتيجة تلك القراءة؛ أنني كنت أقدم ملخصات للقضايا التي تعمل عليها، تسمى قائمة بأدلة الثبوت، نضع فيها الشهود وما قالوه، وأقوال المتهم، وأيضًا المجني عليه، وما أسفرت عنه تقارير النيابة أثناء معاناة مكان الحادث، وأيضًا ما أسفر عنه تقرير الطب الشرعي، مسألة أشبه بالمقدمة نضعها في ملف القضية، حتى يقرأها القاضي لتكوين فكرة مبدئية عما هو مقدم عليه، ثم يقرأ القضية بعد ذلك بالتفصيل، وفي أحد الأيام بعد إرسال ذلك الملخص، طلبني رئيس النيابة وقال: "نحن نرسل القضايا للمحكمة من أجل الحكم فيها، وليس لتسلية القضاة بحكي الحكايات".

واستكمل رئيس النيابة: "أنت في ملخصك تصف المكان، وتصف الحالة النفسية للمتهم، والوصف بأسلوب سردي ووضع صور جمالية".

في الحقيقة، لم أكن أقصد الكتابة الأدبية عندما كتبت تلك الملخصات، ربما سردها بتلك الطريقة الأدبية، نظرًا للقراءة المستمرة، ربما كان إحساس الكتابة داخلي، ولم أكن قد أدركته بعد، في تلك اللحظة بدأت أنتبه للكتابة.

• بدأت الكتابة من باب القصة، وليس الرواية، علمًا بأنك لم تنشر سوى روايات.

- بدأت الكتابة من باب القصة القصيرة، وهي عشق خاص، وكتبت بالفعل قصة بعنوان "كلب الرجل العجوز"؛ "عن شخص مات كلبه، وخانته زوجته رغم ثقته الكبيرة فيها، فأصيب باكتئاب، فأحضرت زوجته كلبًا شبيهًا بكلبه الميت، فأدرك أن ذلك ليس كلبه، رغم التشابه بينهما"، وتقدمت بها في مسابقة نادي القصة، في ذلك الوقت كنت وكيل نيابة بمكتب النائب العام، فأدركت في تلك اللحظة أنه ربما تتم مجاملتي بحكم منصبي، واختيار قصتي ضمن القصص الفائزة، لذلك أرسلتها باسم مستعار، واخترت أن يكون شريفة كمال، طالبة بالفرقة الثانية بكلية الآداب، وأنشأت بريدًا إلكترونيًا بالاسم نفسه، وبالفعل فازت القصة بالمركز الثالث، وتحدد موعد لإعلان النتيجة وتسليم الجوائز، قبل إعلان النتيجة أرسل لي أحد النقاد الكبار، عبر البريد

الإلكتروني؛ أن القصة رائعة، وأثنى عليها بشدة، فشكرته على كلماته
فبدأ يتمادى في رسائله بشكل مبتذل، واستحال إلى عجوز متصابي
يحاول الإيقاع بفتاة.

يوم إعلان الجائزة، ذهبت إلى نادي القصة، وحين تم استدعاء
أصحاب القصص الفائزة، لم أرد والتزمت الصمت، ثم حدث أنني
بعد أعوام من تلك القصة، بعد نشري لرواياتي الأولى، وعرفني الناس
ككاتب روائي، التقيت بذلك الناقد، وعرضت عليه القصة نفسها التي
منحها المركز الثالث سابقًا، عندما أرسلتها باسم مستعار لفتاة، فقال:
"إنها قصة ضعيفة وسيئة جدًا، ولا تصلح، وأنصحك بعدم كتابة
قصص مرة أخرى".

أما بخصوص نشري للروايات فقط؛ ذلك لأنه لم تستهوني في ذلك
الوقت القصص القصيرة، رغم أنني كتبت 21 قصة، لم تنشر، وذلك
لأن فن القصة القصيرة صعب جدًا؛ فن الومضة والتكثيف الشديد،
وهي مسألة غير موجودة في فن الرواية، فحتى لو كثفت الكتابة في
الرواية؛ فهي قماشة عريضة بطبيعتها.

• رغم أن بدايات الكتابة كانت عام 1997 إلا أن قرار النشر تأخر
حتى عام 2012، لماذا قررت النشر في ذلك الوقت تحديدًا؟

- عام 2005 شعرت أنني في حاجة ملحة إلى النشر، فاستشرت
زميلًا في النيابة، فرفض بشكل قاطع، ونبهني إلى إمكانية رفض النائب
العام، علمًا بأنه لا يوجد قانون يمنع ذلك، فقررت الذهاب للنائب

العام، وعندما أخبرته برغبتي في الكتابة ظن أنني أطلب الإذن بالكتابة في أحد فروع القانون، فأوضحت له أنني أكتب قصصًا، وليس كتابة أكاديمية في فروع القانون، فقال: "بالطبع لا، ذلك كلام فارغ، أبعاد فكرة النشر تلك عن ذهنك، أنت رجل نيابة متميز، ركز في عملك".

بعد ذلك الموقف بعامين تركت النيابة، والتحقت بسلك القضاء، فقررت البدء في خطوة النشر، في تلك الفترة كنت أواظب على حضور الندوات الأدبية في بعض الملتقيات، مثل: "ورشة الزيتون"، و"أتيليه القاهرة"، وحدث أنني في أحد الأيام رأيت كاتبًا يناقش كتابه، ويومها تعامل معه النقاد بشكل حاد جدًا لم أستسغه، فوضعت نفسي مكان ذلك الكاتب، ورأيتني، وأنا وكيل نائب عام وقاضٍ، وأحدهم يوجه لي السباب، معتقدًا أنه بذلك ينتقد روايتي، فجنبت الفكرة عن ذهني لمدة عام تقريبًا.

بعد ذلك بفترة، قابلت أنيس منصور، وأخبرته بمخاوفي من الكتابة، وسردت له حكاية "الأتيليه"، فأخبرني بأن الله نفسه يختلف عليه الناس، وطلب أن يقرأ مسودة رواية "زمن الضباع"، وبعد 25 يومًا هاتفني أنيس منصور من مكتبه في الأهرام، وسألني عن عملي، فارتبكت من سؤاله، فقلت له: "أنا قاضٍ في محكمة بني سويف"، فطلب مني ترك القضاء ونشر الرواية والتركيز في الكتابة، بعد ذلك بأربعة أيام كتب عنها في عموده اليومي بجريدة الأهرام، وقد عنون مقاله بـ "زمن الضباع"، وبعدها بأيام هاتفني أكبر ثلاث دور نشر في القاهرة لنشر الرواية، واتفقت مع الدار التي تنشر أعمالي حاليًا على

توقيع عقد لمدة خمسة أعوام، بنشر جميع الروايات التي كتبتها خلال الأعوام السابقة.

• "تويا"؛ كانت روايتك الأولى في عالم الكتابة، ورغم الانطباع السائد عن أخطاء العمل الأول، فإنها تمكنت من المنافسة على القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر"، كيف ترى ذلك، وكيف تلقى النقاد في القاهرة العمل؟

- "تويا" أول رواية كتبتها، هي العمل الأول، بكل أخطائه وعيوبه، كتبتها عام 1997، ونشرت عام 2012، وعند وصولها للجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر"، لم أصدق الخبر، حتى تلقيت مكالمة من إنجلترا، من أحد أعضاء مجلس أمناء الجائزة.

أما بخصوص تلقي النقاد الخبر؛ فيجب أن تعرف بداية: أنه من أول "زمن الضباع" إلى ما قبل وصول رواية "تويا" لقائمة البوكر بيوم، كتب عني حوالي 200 مقال جميعها إشادة، فحتى ما قبل الجائزة لم ألتق ناقداً أو صحفياً انتقد العمل، ولم أقرأ مقالاً يتضمن انتقاداً لما أكتب، وهي مسألة لا أفضلها؛ فالنقد الموضوعي، سواء السلبي أو الإيجابي، مفيد، لكن وبمجرد ظهور الرواية في قائمة "البوكر" الطويلة، تلقيت سيلاً من الشتائم، واتهامات بأنني لا أعرف الكتابة، واتهامات بأنني من خارج الصندوق الأدبي، ولا أعلم حتى الآن ما التهمة في أنني بدأت الكتابة بعيداً عن المسارات المعتادة للمشهد الثقافي في القاهرة، التي تعتمد على الخروج من رحم أجيال سابقة.

الناقد الوحيد الذي لم يتبدل موقفه، الدكتور صلاح فضل، كتب مقالاً يثني على الرواية في جريدة "الأهرام"، قبل الجائزة، ومقالاً في جريدة "المصري اليوم" بعد الجائزة.

• كيف تفسر موقف النقاد والصحافة الثقافية من وصول روايتك "نوبا" إلى قائمة "البوكر" الطويلة؟

- في الحقيقة، موقف النقاد والصحافة الثقافية في القاهرة لم أجد له تفسيراً؛ فأنا لا أفهم الوسط الثقافي، ذلك أنني أراهم بحال عندما يلتقون، وحال مغاير عندما يفترقون، وأراهم في مواقف معينة يسلكون اتجاهها، وفي مواقف مشابهة يسلكون اتجاهًا مخالفًا، في اعتقادي هم منشغلون بمسائل أخرى غير الثقافة والكتابة.

أيضاً، كانت لي تجربة سيئة جداً مع الدكتور جابر عصفور، عندما قرأ روايتي "البارمان" مسودة، عن طريق دار النشر، فأنا لا أعرفه شخصياً، فأمسك بالقلم وكتب على المسودة: "أشرف العشماوي، خلال خمسة أعوام من الآن، سيكون أفضل روائي في العالم العربي"، لكن حدث أن طلب دكتور جابر بعض التغييرات في الرواية، لكنني لم أستجب لتلك التغييرات، فلست من الشخصيات السلسة في طلبات التغيير في مسار رواياتي، وحدث أن صدرت الرواية بكلمة للدكتور علاء الأسواني على غلافها، بجوار بعض الكلمات لأدباء آخرين، والأسواني صديق أعتز بصداقته، وتقدم الناشر برواية غير روايتي لجائزة معرض القاهرة الدولي للكتاب دورة عام 2013، وكان رئيس

لجنة التحكيم الكاتب والروائي جمال الغيطاني، ومن أعضاء لجنة التحكيم الدكتور حسين حمودة، وقامت اللجنة باستبعاد الروايات المقدمة، واستخدمت صلاحياتها طبقاً للائحة الجائزة، واستدعت روايتي، التي لم أكن قد تقدمت بها للجائزة، وكانت الرواية قبل ذلك بأيام قد باعت ثلاثة آلاف نسخة في يوم واحد، وأحدثت صخباً كبيراً لفت انتباه الجميع.

إلى جانب ذلك، فازت رواية "البارمان" بجائزة معرض القاهرة الدولي للكتاب، وأثناء استلامها قال لي جمال الغيطاني: "مبروك، لكن يجب أن تعلم أن تلك بداية وليست نهاية، وإن كنت فرحاً بالجائزة، وتظن أن ذلك نهاية المطاف فسوف تفشل"، قالها وتركني واقفاً مكاني.

بعد حصولي على الجائزة بأيام، تلقيت مكالمة صباحية من صديق، يخبرني فيها أن الدكتور جابر عصفور كتب مقالاً في "الأهرام"، على مساحة نصف صفحة بعنوان "الرواية الرائجة"، وأنه أعلن عن جزء ثانٍ من المقال ينشر قريباً، وانتقد فيه رواية "البارمان"، وقال: "إننا في زمن الرواية الرائجة وزمن أشرف العشماوي"، والمقال بأكمله ضد الرواية، فلم أعلق على المقال، وتلقيت مكالمة من الناشر يخبرني فيها أن عصفور أخبره بأنه غاضب من كلمة علاء الأسواني على غلاف روايتي، وأنني لم أستجب لطلباته بالتغييرات المطلوبة في الرواية، وطلب مني مهاتفة عصفور في محاولة لإصلاح الموقف،

لكنني رفضت مكالمته؛ فمن وجهة نظري: ما الذي يمكن قوله لشخص يسبني؟ بالنسبة إليّ الدكتور جابر قيمة وقامة وناقد كبير في مجاله، لكن لدي قناعة؛ أنه، أولاً وأخيراً، قارئ قال رأيه في العمل.

بعد يومين من نشر مقال "زمن الرواية الرائجة"، تلقيت مكالمة من الدكتور جابر عصفور، يسألني فيها إن كنت قرأت المقال؟ فقلت: "نعم"، فقال: "وأغضبك بالطبع!"، فاندعشت من المكالمة، ثم عاد وقال: "تلك معركة أدبية والمفترض أن تردّ على مقالتي"، فقلت: "في الحقيقة، أنا غير مهتم بمسألة المعارك الأدبية تلك، ولك الحق في كتابة ما تريد كتابته، وأظن أن هناك جزءاً ثانياً، سوف ينشر من مقال زمن الرواية الرائجة"، فقال: "نعم، هناك جزء ثان، لكن يمكن الانتظار حتى نقرأ ردك على ما كتبت"، فقلت: "حضرتك لك الاستمرار في الكتابة كما تريد، فذلك رأيك أولاً وأخيراً".

ثم حدث أن المقالة الثانية كانت أسوأ من الأولى، وكانت تحتوي شبه تطاول على شخصي، وحتى مع ذلك لم أصدر أي رد فعل على ما كتب.

الغريب؛ أنه كتب مقالاً ممتازاً عن روايتي "تذكرة وحيدة للقاهرة"، محتفياً بشدة بالعمل في مقالين، وانتقد الرواية في مقال ثالث، حتى أصبحت غير مستوعب لما يحدث.

رغم موقف النقاد فقد كتب عني آخرون بشكل إيجابي وداعم بقوة، مثل: الناقد صلاح فضل، والروائيين إبراهيم عبد المجيد،

والراحل مكايوي سعيد، إلى جانب أن هناك رسالة دكتوراة عن أعماله بجامعة الأزهر، ورسالة ماجستير في جامعة الدمام بالسعودية، والثالثة في الدار البيضاء بالمغرب، وهناك أيضًا رواية "تويا"، تدرّس في كلية الآداب في جامعة قناة السويس.

• هل رحبت أسرة القاضي أشرف العشماوي بقرار الكتابة أم كانت هناك معارضة لتلك الخطوة؟

- والدي لم يكن مرحبًا بمسألة كتابتي للروايات، ولم يكن مرحبًا بمسألة النشر بداية، وأذكر اليوم الذي استلمت فيه النسخة الأولى من رواية كتبها، أول شيء فعلته هو أنني ذهبت إلى والدي لأعطيه نسخة من الرواية، ووقعت الرواية بأن ذلك مولودي الأول، وأنه حفيدك، ويجب أن تفتخر به، وكنت أحدثه وأنا منفعّل بشدة، فما كان من والدي إلا أن طوى الرواية ووضعها جانبًا، غير أن والدتي أكثر من شجعني على مسألة الكتابة، أخبرتني أن والدي كان يقرأ رواياتي سرًا، لكنه لم يكن يظهر ذلك في العلن، وطلب مني أن أقطع له وعدًا بآلا أترك القضاء، وكان ذلك الوعد أحد أسباب استمراره في القضاء إلى جانب الكتابة حتى الآن، ورغم أن الكتابة تحتاج إلى تفرغ تام كنت أتمنى الحصول عليه، إلا أنني فخور بأنني قاضٍ.

* * *

المحتويات

الصفحة

5 الإهداء
7 مقدمة
11 تمهيد
21 صناعة النشر في عصر شبكات المعلومات
23 صناعة النشر في مصر
31 هل متوسط قراءة العربي 6 دقائق؟!
43 دولة الكتاب الأعلى مبيعا
49 الكتابة الجديدة والدعاة الجدد
57 الزومبي يحكم مملكة أدب الرعب
67 مؤلفو روايات الخيال العلمي خارج فانتازيا النقد
79 دولة كتاب الظل
87 ظاهرة إبداع المنتقبات في مصر
97 أنصار الأدب الإسلامي يقيدون الإبداع

- 103 "الناقد الرقمي".. أحدث ظواهر السوشيال ميديا الثقافية..
- 109 عن السرقات الأدبية والقوانين الرخوة
- 117 مافيا تزوير الكتب
- 119 إمبراطورية الكتاب المزور
- 121 ضعف العقوبات المقررة على المزورين
- 127 أحمد خالد توفيق: جعل الشباب يقرؤون!
- 133 ملحق.. أحمد خالد توفيق
- 147 أحمد مراد
- 161 أشرف العشماوي

* * *



الأعمال الكاملة

t.me/kotbhm

BEST SELLER

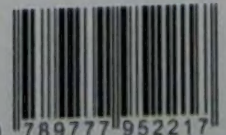
شهدت السنوات الأخيرة صعود عدد من الظواهر الأدبية المتعلقة بالقراءة في مصر، كان أهمها انتشار نوعية معينة من الكتابات، مثل أدب الرعب والخيال العلمي، والكتابات الرومانسية، وأدب السيرة الذاتية، وسطوة السوشيال ميديا التي أثرت بشكل كبير على حركة صناعة الكتاب والنشر في مصر، وفي كتاب "best seller - حكايات عن القراءة"، يحاول المؤلف رصد جميع الظواهر المتعلقة بحركة الكتابة والقراءة وتقديم قراءة لها بشكل بسيط بعيدًا عن تعقيدات الكتابة الأكاديمية.

ويقدم الكتاب شرحًا وافيًا لظاهرة "البيست سيلر" أو الكتب الأكثر مبيعًا، مع رصد لصعود تلك النوعية من الكتابات مع شرح لحقيقتها وهل هي الأكثر مبيعًا بالفعل أم لا. هو كتاب مهم لكل مهتم بالقراءة في محاولة لمعرفة ما الذي حدث للقراءة منذ يناير 2011 وحتى الآن.

سامح فايز كاتب وصحفي مصري، من مواليد 1985. تخرج في كلية الحقوق جامعة عين شمس 2007. عمل بالمحاماة قبل أن يتفرغ للصحافة الثقافية، وعمل بأقسام الثقافة في صحف عديدة. صدر له: كتاب "جنة الإخوان: رحلة الخروج من الجماعة" سيرة ذاتية، ورواية "حجر السبع"، وكتاب "رحلة يوسف".



تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصواف



9

789777 952217

الدار المصرية اللبنانية

للقراءة غير موقعتنا
store.almaznah.com